الجزء الحادي عشر والثاني عشر ٢٢٩ و ٢٣٠ المجلد التاسع عشر



تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٤ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٣

التصحيف والتحريف

لضعف التدوين عند العرب في أول الإسلام وقع مع طول الزمن وكثرة الرواة ودخول العجمة على اللغة تصحيف وتحريف في بعض ألفاظ السنة والشعر والخطب وزاده كثرةً كون الأمة كانت تكتب أولاً بالخط الكوفي بدون إعجام ثم عمدت إلى هذا الخط المتعارف وهي تغفل فيه النقط أيضاً . وكان من جهلة النساخ بلاء على الكتب يتلافاه الوراقون الذين يتوخون قراءة الكتب على مؤلفيها أو على العلماء المدققين فتصدر سليمة في الجملة .

وقديماً ألف المؤلفون في تصحيح غلطات أهل كل فن ولا سيما الحديث واللغة وقد توفرت العناية بفنون الحديث وخدم خدمة لم يخدمها فن مثله . وللمتأخرين من الكتب المطبوعة في هذا الشأن «المشتبه في اسماء الرجال» للحافظ الذهبي و «كتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط» لمحمد بن طاهر المقدسي و «تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب» لابن خطيب الدهشة و «لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي» وغير ذلك من المطبوع في بلاد الغرب

ولفرط عناية القوم بالروايات الصحيحة ، وخوفهم من تسرب العبث اليها كانوا يضبطون كل كلمة لا بالشكل فقط بل بالتعيين بالحروف وبيان المعجم منها وغير المعجم . وقد عُدّ كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان من أفضل كتب الأنساب والتراجم بما ضبطه من أسماء الأعلام . وآخر من عني من أهل هذا العصر بتصحيح الأغلاط العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله فإنه صحح غلطات «لسان العرب» لابن المكرم وغلطات

« القاموس المحيط » للفيروزابادي فأحسن إلى اللغة كما أحسن اليها العلامة الشنقيطي بتصحيحه بمعاونة الأستاذ الإمام محمد عبده كتاب المخصص لابن سيده كما أحسن هذا للأدب بتصحيحه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني . ونشر الأستاذ محمود مصطفى نحو الف علم من أعلام الأنامي والمواضع في كتاب أسماه «إعجام الأعلام»

تصحيح أغلاط النساخ والرواة استغرق في كل عصر بعض أوقات المشتغلين ، ومن الأئمة الذين ردوا كل كلام إلى نصابه الصحيح في المتقدمين ابو احمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ ، وهو غير صاحب الصناعتين أبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ ، وكلاهما في العلم والأدب غاية ، وفي الإجادة في التأليف المثل الأعلى . ألف أبو أحمد العسكري كتابه التصحيف والتحريف وطبعت مطبعة الظاهر في القاهرة في سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨ الثلث الأول منه ولا يزال الأصل محفوظاً في دار الكتب المصرية . وقد عرضت على المجلس الأعلى لدار الكتب إعادة طبع الكتاب برمته فتفضل وأجاب على مقترحي . وقد شرح المؤلف فيه « الألفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف ، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر ، وفي اسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الإشكال فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يفطن لها إلا من افتن في العلوم ، ولقي العلماء والرواة والمتقدمين في صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ولم يعول على الكتب الصحفية » إلى أن قال : « فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ، ورواية كثيرة ، وفهم كبير ، وبمعرفة مقدمات الكلام ، وما يصلح أن يأتي بعدها مما يشاكلها » . وقد ضمن كتابه هذا ما يحتاج اليه أهل الأدب وجعله أبواباً منها ما جاء في قبح التصحيف وذم المصحفين ولكن التصحيف ومن ابتلي به ونوادر من التصحيف ، وما روي من أوهام البصريين وأوهام الكوفيين وتصحيفات لقوم شتى وما صحف في الكتب المشهورة كالحماسة ، وما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء ، وما يشكل من أيام العرب واسماء الفرسان وما يصحف في الأنساب

والأماكن الخ . وكلها نافع للمشتغلين في تقويم منآد بعض ما سقط فيه القدماء ، دالة على سبيل النجاة لتوقي الهفوات ولقد وقع لي ولغيري ممن عنوا بنشر كتب السلف أمور تضحك من التصحيف والتحريف ، ما كان أولاها بالتدوين كما دون العسكري ما وقع له ولغيره من هذا القبيل في كتابه الممتع . من ذلك أني بقيت سنين أنا وأساتذتي لا نعرف ما هي « حمرايا » وكانت قرية في ظاهر دمشق ، دعا اليها الشاعر الواساني بعض أصحابه من أهل بلده فلما أكلوا وشربوا عبثوا به وبزرعه وشجره ومتاعه ومؤنته ، فنظم فيهم قصيدته البديعة المحفوظة برمتها في يتيمة الدهر للثعالبي . وسمعت بالعرض ذات يوم من أحد معارفي اسم « جمرايا » بالجيم فعرفت أنها هي القرية المقصودة ، ولا تسل عن شدة فرحي لما عرفت أن هذه النقطة الضالة من اسم جمرايا أضلتني وأصحابي أعواماً ، والله أعلم كم أضلت أناساً قبلنا . وجمرايا قرية إلى جانب قرية الهامة على نحو عشرة كيلو مترات من غربي دمشق وعليها ينطبق الوصف الذي وصفها به الواساني .

وكنت أقرأ أيام الطلب مقامات الحريري عند أحد أئمة الأدب فوصلنا في المقامة السادسة المراغية إلى قوله : « ونثرنا العجوة والبخوة من نَوْطِهم » فقال الأستاذ النجوة بالجيم لا بالخاء ، فقلت له إني راجعتها في القاموس فرأيت فيه والبخو الرُّطب الرديء الواحدة بخوة . فعجب الأستاذ فقلت له ليس هناك داع للعجب ، « رمية من غير رام » و « للفُكش في هذه الدنيا إصابات » . ورجعنا إلى شرح المطرّزي على المقامات في طبعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ فإذا هي النجوة بالجيم ثم رجعنا الى شرح الشريشي على المقامات المطبوع في دار الطباعة الكبرى الأميرية سنة ١٣٠٠ هـ فإذا فيه : « ن النجوة بالجيم الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتب اللغة أن الفجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب يهتم فيه بذكر النخل والتمر فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده » الى آخر ما قال :

وهذا التحريف أيضاً شغل الشراح هذا الشغل وما أكثر ما تضل النقط !

كنت أقرأ كلاماً للجاحظ وعندي عالم عربي نشأ في البادية فورد معي «وروغان الثعلب وجبن الصقر» فانتبه الأستاذ حالاً وقال: الصقر ليس بجبان بل هو معروف بالشجاعة . ولما رجعنا إلى حياة الحيوان عرفنا أن التحريف جاء من الصقر، وصحة العبارة «أجبن من الصِّفْرِد» كزبرج وهو طائر جبان ويقال له أبو المليح .

والناظر في المطبوعات التي تنشر اليوم من كتب الأقدمين يسجل من هذا أشياء كثيرة لا غضاضة على ناشريها إذا تصدى العارفون لإصلاحها فإن من عانى هذه الصناعة يدرك ما يلقاه الناشرون من العنت في تصحيح ما خلفته الأيام من الأصول المحرفة السقيمة فمن أصلح خمسين غلطة وغفل عن خمس غلطات ليس من العدل ان يحمل عليه ويهزأ بعمله بل بالعكس يجب الشكر له وعليه ان يشكر لمن يصرف وقته لإيقافه على ما لم يقف عليه خصوصاً ومن المسلم به ان الثقافات تختلف ونظر الناظرين يختلف فمن استوت أدواته في التاريخ قد يكون ناقصاً في اللغة ومن حفظ من اللغة جانباً قد يكون الى القصور في التاريخ والفلسفة والاجتماعيات وغيرها . ولذا كان الواجب في نشر مثل هذه الكتب ان يعهد بتصحيحها الى غير واحد من المحققين لتجيء سالمة ويرضى عنها العلماء المدققون .

مثال من ذلك ما وقع في الجزء السابع من «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي فإن المصححين بذلوا الجهد في تقويم ما لديهم من الأصول وما رجعوا اليه منها فلم يسلموا جملة من الغلط . ومنه في صفحة ٥ — ابن الملك المسعود أقسيس — وصوابه اتسيس أو أتسز أي المجرد من اللحم وهي كلمة تركية ومثله ص ٩٠ محمد المعروف بأقسيس . ص ٢٦ نشأ بقاسيون . وقاسيون جبل دمشق والصواب على ما أرى قاقون من بلاد فلسطين ص ٣٢ — المستشرق البارول رسلان . صوابه البارون دي سلان . ومثله ص ١٤١ كارمونت جانو — صوابه كارمون جانو ص ٣٩ يوسف بن قَزأوِغلي — صوابه قِزْأُغلي ، أي ابن البنت أو السبط وهي تركيب تركي ٤٨٠ — قلت : وكلمة الشيخ مطاعة ، صوابه وكلمة الشحْ مطاعة . ص ١٥٠ وصافيثا ، بالثاء والصواب بالتاء وكذلك في كل محل .

ووقعت عدة أعلام كتبت بالسين وهي بالشين مثل آقوش ومنكورش ص ٢٠٣ صفية خاتون ، والصواب ضيفة خاتون لأنها ولدتها أمها في دار جماعة كانت في ضيافتهم فسموها ضيفة . ص ٢٨٩ — بشقراء من ضياع برزة ، والصواب في الحاشية من ضياع زرع وهي من أرض حوران . ص ٣٠١ — حصن برْزة — حصن برزيه

ووقع لناشري كتاب الأغاني على ما بذلوا من العناية البالغة في التصحيح بعض تصحيفات وتحريفات ، ومنها في الجزء السابع (ص ٢٦) إن يزيد بن عبد الملك « كان خرج الى قرين متبدياً به » وعلق الشارح أو الشراح على قُرين انها موضع باليمامة يسمى قرين نجدة قُتل عنده نجدة الحرَوْري . والصحيح ان يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ومصاب بالسلّ ما كان له ان يتبدى في نجد أو اليمامة ، وبين عاصمة الأمويين دمشق وأول بلاد نجد نحو خمس عشرة مرحلة ، والصحيح أنه تبدَّى في فَدّين ، وفدين من أقصى أرض حوران من عمل دمشق ، وكان معظم رجال بني أمية يسكنون في قصور لهم قريبة من دمشق . ثم إن نص الأغاني نفسه يفهم منه غير ما فهمه الشراح ، ذلك لأن أبا الفرج يقول : « إن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى فدين متبدياً ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان » ويقول ياقوت في المعجم: « وسعيد بن خالد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي العثماني الفدّيني خرج في أيام المأمون وادعى الخلافة بعد أبي العُمَيْطر ... » وبذلك استقام اسم البلد على فدّين حتماً ، ويؤيد ذلك أيضاً ان المؤرخين قالوا إن الخليفة كان يتنزه في ناحية الاردن ومثل ذلك يقال فيما ورد في ص ٢٨ من هذا الجزء أيضاً أن الوليد بن يزيد خرج يريد « فرَتنى » ، وفسروها بأنها قصر بمرو الرُّوذ ، وما عرف أن الوليد ابن يزيد وهو خليفة ذهب الى مرو الرُّوذ ، وهي على نحو اربعين مرحلة وأكثر من عاصمته . وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن فدّين ، وليس من المعقول أن يبعد الخليفة عن أم قراه هذا البعد الشاسع .

وورد في الجزء الثامن (ص ١٠٣) قول جميل :

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها   وقد قرِّبت بصرى أمصر تريد

وقال الشارحون هكذا في الأمالي وفي الأصول وقد قربت نضوي أي ناقتي الهزيلة ولعل الكلام يستقيم بنضوى اكثر من بصرى إلا إذا ثبت ان حبيبة جميل كانت ترحل معه من الجزيرة الى الشام ومنها أراد أن يفارقها إلى مصر .

وفي هذا الجزء أيضاً غلط الناشر بقوله إن إبراهيم بن العباس الصولي هو ابن العباس ابن الأحنف ، وإنما العباس بن الأحنف خاله وعلى ذلك يدل سياق الحديث أيضاً قال : حدثني الصولي قال حدثني القاسم بن اسماعيل قال : سمعت ابراهيم بن العباس يقول : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَيْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول المقام ملول

وفي ص ٣٥٣ : أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يصف العباس بن الأحنف فقال : كان والله ممن إذا تكلم لم يُحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان لو شئت أن تقول إن كلامه كله شعر لقلت . وهذا القول لا يقوله ولد في والده . ثم إنه ما قال أحد أن في نسب العباس بن الأحنف لقب « الصولي » والصولي اقب إبراهيم بن العباس وابن الأحنف عربي معروف .

ووقع للعلامة احمد زكي باشا رحمه الله بعض تحريفات في نشره كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري منها تشديده ميم سلمية وسين عسال وهما سَلَمْيَة وعِسال بالتخفيف والفتح فقط ، وأعجم السين من سرعين وسميساط ، وأعجم الدال من بلودان وسدوم ، فقال بلوذان وسذوم ، وحرف دير الفاروس باللاذقية بالقاروس في ثلاثة مواضع وهو بالفاء ، وقال حُمة جدن وهي أحمة جَدَر ويقال لجدر أم قيس المعروفة اليوم بمكيس إحدى المدن العشر المعروفة في التوراة وقال « جسر يعقوب » والصواب جسر بنات يعقوب وسمى « العمق » « العمقا » وقال « دنين » قرية شرقي حوزان وهي ديبين قرية معروفة الى اليوم وزعم أن الترك سموا « نزيب » تمييزاً لها عن نصيبين التي في العراق (والأصح في الجزيرة) وأنهم قالوا « إربد » تمييزاً لها عن إربل بأرض الموصل والحقيقة أن

اسم إربد لم يتغير عن هذا الرسم منذ دخول العرب الى عهد الترك الى خروجهم من الديار الشامية . قال ياقوت في معجم البلدان : أرْبدُ بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأُردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب . وكانت أرْبد مركزاً من مراكز حمام الزاجل وهجين الثلج ومناور النار المعروفة على عهد المماليك تصل بين مصر والشام ، وقد ورد ذكرها مرات في « زبدة كشف الممالك » لخليل ابن شاهين الظاهري المطبوع في باريز ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري المطبوع في القاهرة . ولم ترد إربل باللام قط في عهد العثمانيين فقد جاء في التقويم السنوي (سالنامه) عن سنة ١٢٩٨ ﻫ المطبوع بدمشق باللغة التركية بالدال اربد وكذلك في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي المطبوع في الاستانة وهكذا ينطق بها أهل ذاك الأقليم والأقاليم المجاورة

وبعد فإني كثيراً ما كنت أسمع أن ابن خلدون أجاد في مقدمة تاريخه ولم يجد في تاريخه ، وما عرفت سرّ ذلك إلا لما اقترح عليّ أن أنظر في الجزء الثالث من تاريخه ليعاد طبعه ، وكان طبع في المطبعة الأميرية ، وقديماً كان اسم الكتاب المطبوع في هذه المطبعة مشهوراً بالدقة والعناية فماذا رأيت فيه ؟ رأيت لما توفرت على النظر فيه تصحيفات مخجلة في الأعلام وغيرها أفسدت المعنى وأضلت القارئ . ولا أغالي إذا قلت إني رأيت في كل صفحة عشر غلطات فظيعة ، دع ما سقط من الكلمات والجمل ، وأحياناً صفحات برمتها . وقد صححت مئة وخمسين صفحة ثم اعتذرت للطابع لأني لا أحب أن أصرف من حياتي حولاً كاملاً في تصحيح جزء من تاريخ ابن خلدون ، على أن تقويمه الآن ليس من المتعذر متى عرفنا المصادر التي أخذ عنها ابن خلدون ، وقد اعتمد في الأكثر على ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري المطبوعين في ليدن بعناية علماء المشرقيات جزاهم الله عن أدبنا ولغتنا خير جزاء ودفع عن كتبنا ما عمت به البلوى من التصحيف والتحريف .

محمد كرد علي

القرآن

بحث عليّ تاريخيّ أثريّ

(٣)

٦ — القرآن وعلماء النصارى

أقبل فريق كبير من أئمة النصارى وعلمائهم ومفكريهم في بلاد المشرق منذ العصور الغابرة على دراسة القرآن . فدققوا النظر في سُوَرِه وآياته . وأمعنوا وتعمقوا في نواميسه وشرائعه ، ثم كتبوا عنه الشيء الكثير أو القليل في تصانيفهم وفتاويهم الشرعية . واتخذوه دستوراً في بعض القضايا والفرائض المدنية .

فاذا سرَّحنا النظر في الملة النسطورية رأيناها قد ازهرت في عهد بني العباس وامتزجت بالخلفــاء والامراء والمشترعين قبل سائر الملل النصرانية . ومن مشاهير النساطرة الذين درسوا القرآن وضوابطه وفرائضه في تلك الحقبة نذكر : آلـــ بختيشوع الذين تولوا الطبَّ في بلاط العباسيين ثلاثة قرون كاملة أعني منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر للميلاد[1] . ويوحنا بن ماسويه (+ ٨٥٧ م) رئيس أعظم مدرسة ازدحم الطلاب على أبوابها في دار الخلافة[2] . ويعقوب الكنديّ (+ ٨٦١ م) فيلسوف العرب وسليل ملوك آل كندة[3] . وحُنين بن اسحق (+ ٨٧٦ م) شيخ تراجمة الإسلام ورئيس الفلاسفة والأطباء في عهد المتوكل الخليفة العباسي[4] . وأبا عيسى يحيي بن جزلة (+ ١٠٨٠ م) الطبيب البغداديّ صاحب كتاب « المنهاج » وقد أسلم في آخر أيامه ووقف كتبه لمشهد الامام ابي حنيفة[5] .

(١) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ١٣٦ (٢) الآداب السريانية : تأليف روبنس دوفال : صفحة ٢٧٢ و٣٨٦ (٣) زبدة الصحائف في اصول المعارف : تأليف نوفل نوفل : صفحة ٤٥ « المجمع » لم يكن يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب نصرانياً وانما ذاك عبد المسيح ابن اسحق الكندي من أهل القرن الرابع للهجرة ويعقوب عاش في اوائل القرن الثالث .
(٤) مجلة المنارة : سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٥٢ (٥) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري صفحة ٣٣٩ .

وموفق الملك بن التلميذ (١٠٨١ — ١١٦٤ م) الملقب بسلطان الحكماء[1] خلف مؤلفات كثيرة منها كتاب اشتمل على أحاديث نبوية[2] .

وتفرّغ بعض جثالقة[3] النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية لملتهم استمدوها من أحكام القرآن وسننه . ومن أقدمهم الجاثليق خنيشوع الأعرج (٦٨٦— ٧٠١م) والجاثليق طيمثاوس الأول (٧٨٠ —٨٢٣ م) والجاثليق ايليا الأول (١٠٢٨— ١٠٤٩ م) والجاثليق ايليا الثالث المعروف بأبي الحليم (١١٧٦ — ١١٩٠) صاحب الخطب العربية المشهورة . ثم عبديشوع مطران الموصل مؤلف كتاب « تقسيم المواريث » في القرن الحادي عشر للميلاد . وعبديشوع الصوباويّ (+ ١٣١٨ م) مطران نصيبين وهو مؤلف كتاب الشرع البيعيّ والمدنيّ المستعمل عند النساطرة لعهدنا هذا .

وتصدّى غير واحد من قدماء مؤرخي النساطرة لذكر القرآن وتأثيره في القبائل العربية وفي الشعوب المجاورة لها . اشهرهم برحد بشابا العربيّ اسقف حلوان بالعراق في القرن السابع للميلاد . ثمّ معاصره برْ فنكايا المؤرخ[4] .

ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ — ١٢٠٠ م) عدّة أحكام مدنية استخلصها من القرآن وجرى بموجبها ابناء ملته . وجاء بعده المفريان[5] ابو الفرج ابن العبريّ (+ ١٢٨٦ م) فخلف فصولاً ممتعة في الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن . وقد أثبت زبدتها في تاريخيه المدنيين ولا سيما في مؤلفه المشهور بكتاب « الهدى » . وهو دستورٌ تمشي عليه ابناء ملته في العصور الغابرة وما برحوا يسيرون بأحكامه حتى اليوم . وخصص المؤرّخ الرهاويّ السريانيّ فصولاً جمة في مؤلفه « تواريخ الأزمنة » بذكر القرآن ونواميسه واحكامه[6] . وهذا المصنف الفريد قد نشره سنة ١٩٠٠ البطريرك العلاّمة افرام رحماني في مطبعة دير الشرفة .

(١) اعلام العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي — وخريدة القصر للخزرجيّ (٢) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ٢٥٥ (٣) الجثالقة جمع جاثليق : أعلى مرتبة دينية عند النساطرة والأرمن (٤) نشر الفونس منكنا تاريخ برفنكايا عام ١٩٠٨ في الموصل (٥) المفريان رتبة دينية عند السريان وهي دون البطريرك وفوق المطروبوليت (٦) تواريخ الأزمنة : للرهاوي : صفحة ١٦٢ — ١٦٣

وقام عند الموارنة في القرن الحادي عشر داود المطران فنقل عام ١٠٥٩ م عن السريانية الى العربية كتاب «الهدى» او «الهادي» وهو يتضمن نواميس شتى مستمدة من القرآن .

ونبغ في الملتين الملكية والقبطية طائفة معتبرة من الكتاب الأعلام تصدّوا لدرس القرآن . فمن الملة الملكية نذكر يعقوب بن صقلان ونفيس الدولة الدمشقي طبيب هولاكو . ولا سيما موفق الدين ابن المطران (٥٨٧ هـ) وقد أسلم في عهد صلاح الدين الأيوبي . فعلت منزلته عند هذا السلطان إلى ما يشبه منزلة الوزارة والادلال حتى على الملوك . اما الأقباط فقد اشتهر بينهم في القرن الثالث عشر للميلاد ثلاثة اخوة من آل العسال وهم : الرئيس المؤتمن وابو الفرج هبة الله والصفي ابو الفضائل ماجد وغيرهم .

وقد اطلعنا على كتاب ثمين وضعه احد اجلاء الكهنة الشرقيين المعاصرين في «لغة القرآن» وعلاقتها باللغات السامية . فسرد كلّ ما في ذلك المصحف من من اسماء وافعال وعبارات وتراكيب واصطلاحات وقابلها بتلك اللغات . ثمّ شرحها كلها شرحاً دقيقاً وحللها تحليلاً لغوياً محضاً . واعتمد في بحثه مشاهير كتبة الإسلام كالغزالي والجلالين والزمخشريّ والبيضاويّ وغيرهم . ولم يفته في هذا الصدد ما كتبه اهلُ المعرفة والنقد من علماء الاستشراق في ديار اوربا . ولسنا نعرف احداً قبل هذا البحاثة طرق موضوعاً مثل هذا الموضوع من علماء الشرق والغرب .

ونضمّ الى من ذكرنا اديباً نصرانياً يقال له نعوم البخّاش الحلبيّ عاش في القرن التاسع عشر وامتاز بخطه العربيّ الرائع . ومن بديع ما نمقته يراعته فاتحة القرآن فإنه كتبها على حبة ارزّ[1] .

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب رأينا رهطاً من نوابغ المستشرقين ينافسون المسلمين في درس القرآن وشرحهِ وتحليلهِ . ويعتنون بتدوين تواريخهِ واكتناز مخطوطاتهِ ويُبكرون الى ترجمتهِ وطبعهِ . من ذلك ان المستعرب باباغانيني طبع

(١) يومية نعوم البخاش : بقلم الأب فرديناند توتل : صفحة ٤

القرآن في مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر ٠ وعُدَّت طبعته هذه العربية باكورة طبعات القرآن برمتها ٠

ونشرت مطبعة ليدن بهولندا سنة ١٦١٧ قصة يوسف اعني السورة الثانية عشرة من سور القرآن ٠ وهي اوّل طبعة عربية أبرزتها مطابع اوربا بالشكل الكامل[١] ٠

ولم يقتصر علماء الاستشراق على طبع نصوص القرآن فقط بل وضعوا تآليف ضافية وافية في تفسيره وتعداد مزاياه ٠ وتوسع قوم منهم في البحث عن « تاريخ القرآن » كالأستاذ بركنشريسر أحد علماء المانيا[٢] ٠ وممن طرق الموضوع ذاته المستشرق اماري الايطاليّ (١٨٠٦ — ١٨٨٩) ٠ فانه صنف تاريخاً للقرآن شاركه فيه العلامة نولدكه وطبعه سنة ١٨٥٨ فأحرز جائزة المجمع العلمي بباريس[٣] ٠ وعاصرهما كاتب سياميّ شهير يقال له برتلمي سنت هيلار (١٨٠٥ — ١٨٩٥) فصنف كتاباً عن القرآن وعن الدين المحمديّ طبعه سنة ١٨٦٥[٤] ٠

وطبع المستعرب لويس ماراجي سنة ١٦٩٨ في بادوا بإيطاليا تفاسير القرآن تأليف البيضاويّ والزمخشريّ والسيوطيّ[٥] وحذا حذوه المستشرق فليشر (١٨٠١ — ١٨٨٨) فطبع تفسير القرآن للبيضاويّ ١٨٤٦ في ليبسيك[٦] ٠

وخصص المستشرق بوتيه (١٨٠٠ — ١٨٧٣) بالقرآن حقبةً طويلةً من حياته فكتب فيه بحوثاً مستفيضة لم يُباره فيها كاتبٌ شرقاً وغرباً ٠ وسرد عقائد سائر الأديان الموافقة او المخالفة له ٠ وألمع الى تأثير القرآن في الاجتماع والحضارة والى الأشهر والجمعات التي يقدّسها والى غير ذلك[٧] ٠

وطبع الدكتور لويس سبرنغر (١٨١٣ — ١٨٩٣) المستشرق النمسويّ كتاب « الاتقان في علوم القرآن » تأليف جلال الدين السيوطيّ[٨] ٠

---

(١) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٣ (٢) المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ١٢١
(٣) المستشرقون : بقلم نجيب العقيقي صفحة ١٢٦ (٤) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للأب لويس شيخو : جزء ٢ صفحة ١٧٠ (٥) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٤ (٦) المستشرقون : صفحة ١٣٥ (٧) المستشرقون : صفحة ٩٣ — ٩٤ (٨) المستشرقون : صفحة ١٤٦

ووضع المستشرق رودلف دڤوراك (+ ١٩٢٠) المتوفى في براغ عاصمة بوهيميا تأليفاً جديراً بالاعتبار بحث فيه الفاظ القرآن المعرّبة [١] .

وتفرّغ المستشرق المدقق اوتوبرتزل لدرس «علم قراآت القرآن» وتجويده وفهارس مخطوطاته . وواصل تلك البحوث بجهود مستمرة حتى توفق الى العثور على ستة وخمسين مخطوطاً حفظت في احدى وثلاثين خزانة اكثرها في عواصم اوربا . فوصف كل مخطوط على حدة وذكر منه اوّله وأشار الى لائحة فصوله . ثم رتب فهارس تلك المخطوطات ترتيباً علمياً وصدّرها بدرس متين في «علم قراآت القرآن» ونشأته ومصادره . ونشر بحوثه الدقيقة في المانيا بين السنتين ١٩٣٣ و ١٩٣٤

ونشر العلامة نلينو (١٨٧٢ — ١٩٣٨) أشهر سور القرآن فرتبها ترتيباً تاريخياً محكماً . وعلق عليها الحواشي وأردفها بمعجم : يستعين به طلاّب اللغة العربية الاوربيون . وقد سرد في كتابه هذا خلاصة البحوث الحديثة عن فقه اللغة العربية وعن أصل القرآن دون ان تفوته مقابلته بسائر اللغات السامية [٢] .

ونقل العلامة مرغليوث (١٨٥٨ — ١٩٤٠) الى لغته الانكليزية قسماً من تفسير القرآن للبيضاوي . وقد برهن في حله بعض المعاني العويصة على تضلع من اللغة العربية وعلى براعة غريبة فيها .

وممن خاض في درس الأبحاث الشرقية وتعمق فيها الأب هنري لامانس اليسوعي (١٨٦٢ — ١٩٣٧) . كتب في العرب والاسلام والخلفاء والسيرة النبوية معتمداً على القرآن [٣] .

اننا اجتزأنا بذكر اليسير من بحوث أعلام النصارى وعلماء الاستشراق عن القرآن . ولو تحرّينا احصاء كل ما دوّنوه عنه في موسوعاتهم او نشروه في مجلاتهم او اثبتوه في تصانيفهم قديماً وحديثاً لتألف من ذلك خزانة من أهم خزائن الدنيا .

(١) الآداب العربية في القرن العشرين : للأب لويس شيخو : صفحة ١٣٠ (٢) المشرق : مجلد ٣٨ سنة ١٩٤٠ صفحة ٢١٣ (٣) المشرق : مجلد ٣٥ سنة ١٩٣٧ صفحة ١٦٩ — ١٧٠

٧ – طرائف عن مصاحف القرآن

لو شئنا ان نسرد كلّ ما ورد من الطرائف والنوادر عن مصاحف القرآن لانقضى العمر دون البلوغ الى الغاية . غير اننا نسترعي القراء لما أزمعنا ان نطرفهم به من بعض تلك النوادر فنقول :

ذكر ابن النديم في القرن الرابع للهجرة انه ارتحل الى الحديثة وهي مدينة بجوار الموصل . فرأى فيها عند رجلٍ يقال له محمد بن الحسين مصحفاً بخط خالد ابن ابي الهياج صاحب عليّ بن ابي طالب . ورأى هناك ايضاً خطوط الإمامين الحسن والحسين[١] .

وروى سبط ابن الجوزيّ انه كان في جامع اصبهان قبل احتراقه سنة ٥١٥ للهجرة خمسمائة مصحف مكتوبة بخطوطٍ بديعةٍ مدبجةٍ بصفائح الذهب والفضة : بينها مصحف خطه بيده أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي[٢] وهو الذي أمره الخليفة عثمان ان يجمع القرآن فشاركه في جمعه[٣] . وكان أُبَيّ بن كعب حبراً من أحبار اليهود ثم أسلم .

وكتب المقريزيّ ان خزائن قصر الفاطميين بالقاهرة اشتملت على الفين واربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوطٍ منسوبةٍ جميلةٍ مطعمة بذهب وفضة وغير ذلك[٤] .

ومن أثمن ما وقع عليه نظرنا في القدس الشريف عام ١٨٩٣ مصحف بديع موشّىً بالعسجد واللُّجين كتبه عبد الله ابن امير المسلمين ابي سعيد عثمان سلطان الجزائر . وهذا المصحف الذي يزين خزائن المسجد الأقصى مكتوبٌ بحبر أحمر وازرق واخضر وقرمزيّ مُزج بالمسك والزعفران . يرتقي تاريخه الى سلخ ذي الحجة سنة ٥٤٧ للهجرة (٢٨ آذار ١١٥٣ م) . ولما سُرق هذا المصحف منذ بضعة اعوام قامت الحكومة الفلسطينية وقعدت للأمر . وبثت العيون على اللصوص في جميع الأمصار حتى عثرت سنة ١٩٣٦ على المسروق في حانوت احد تجار العاديات بالقاهرة .

---

(١) فجر الاسلام : لأحمد أمين : جزء ١ صفحة ١٩٧ ودائرة معارف القرن العشرين : مجلد ٣ صفحة ٧٠ — ٧١ (٢) مرآة الزمان : للجوزي (٣) الاعلام : لخير الدين الزركلي : صفحة ٢٨

(٤) خطط المقريزي جزء ٢ صفحة ٢٥٦

فاستولت عليه وأعادته الى مركزه في خزائن المسجد الأقصى . ونضرب صفحاً عن ذكر مصاحف ثمينة مصونة في هذا المسجد اطلعنا عليها بذاتنا يتقادم عهدها الى ايام مماليك مصر وسلاطين آل عثمان [١] .

وكان سنان باشا (١٠٠٤ هـ و ١٥٩٥ م) المهندس التركيّ الشهير من كبار المولعين بجمع نفائس المصاحف والمخطوطات . فقد خلف مائة وستين مصحفاً مرصعة بالدرر والجواهر . وكانت تلك المصاحف مع غيرها من الكتب الثمينة مصونة في خمس وثلاثين صندوقة مطعمة بالياقوت والمعدن [٢] .

ومن طرائف ما يُروى عن عبد الرحمن الخولانيّ الحيرازي المتوفى سنة ١٠٠٣ للهجرة أنه كان يقدّس القرآن ويعظمه في أمور ما خطرت ببال انسان قبله . فانه صنف تفسيراً للقرآن جمع فيه صناعات المصاحف بأسرها وجعل ذلك القرآن إماماً يُقتدى به ويعوّل عليه . ثم استقصى ما في مصحف عثمان بن عفان وضمّ اليه ما لا أثر له في غيره . وبلغ به حرصه الشديد على إجلال القرآن أن اصطنع له بيده كاغداً وحبراً ممتازين ليكون طاهراً بالاجماع [٣] .

ويرى المطالع نموذجات شتى من المصاحف النفيسة في دار الكتب المصرية وفي دار الكتب الأزهرية بالقاهرة . ويشاهد مثل ذلك ايضاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق وفي دار الكتب اللبنانية في بيروت وفي غيرها من دور الكتب وخزائن المساجد . ويتجلى ذلك خصوصاً في مكة والمدينة واليمن وبغداد والنجف والموصل وحضرموت وطهران واصبهان وتبريز وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس والاسكندرية واسطنبول وبروسة وادرنة وهلمَّ جرّاً . وهذه المصاحف منمقة بصنوف الاقلام العربية بدءاً من القلم الكوفي الأصلي الى القلم البغداديّ فالقلم الافريقيّ فالأندلسيّ فالريحانيّ فاليمانيّ فالمزركش حتى القلم الديوانيّ والقلم القاعدي في عهدنا .

(١) خطط الشام لمحمد كردعلي: مجلد ٦ صفحة ٢٠٠ — ٢٠١ (٢) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٦ (٣) خلاصة الأثر : جزء ٢ صفحة ٣٦٠

وبلغ تفنن المسلمين في كتابة القرآن وزخرفته ان نسخوه على أصغر حجوم الورق وأوسطها واكبرها . فكتبه بعضهم بحجم البندقة او بيضة الدجاجة . وكتب غيرهم بعض سُوره على حبة ارزّ او حبة قمح . ونرى اليوم مصاحف لا يتجاوز حجمها سنتيمترين طولاً وسمكاً وعرضاً مطبوعةً وموضوعةً ضمن قماطر من عسجد او لجين او معدن آخر . زد عليه ان الأقدمين وشحوا فاتحة القرآن ورؤوس سوره واجزاءه واحزابه بميناء دقيقة الصنع مختلفة الألوان .

وكان في مكتبة مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار بالقاهرة عشرة مصاحف بديعة طولُ كلّ منها اربعة أو خمسة اشبار في مثلها عرضاً . وكان احدُها بخط ابن البواب (٤١٣ ﻫ) والآخر بخطّ ياقوت المستعصمي (٦٩٨ ﻫ) وباقيها بخطوط منسوبة [1] .

وفي خزانة كتبنا الخاصة مصاحف قرآنية نفيسة تفتن الأبصار بفواتحها المذهبة واشكال خطوطها المستبدعة وألوان زخارفها الرائعة : بينها مصحف نادر مكتوب بحبر اسود تتخلل سطوره ترجمة القرآن باللغة الفارسية مكتوبة باللون الأحمر . وفي خزانتنا مصحف ثان دُبّجت عناوين سُوره وأجزاؤه كلها بحروف ذهبية والوان شتى واكتنفت صفحاته المستبدعة من اوله إلى آخره بإطار مطعم بالذهب . وفُصلت آياته جمعاء بنقاط ذهبية لماعة . ومما يزيد قيمة هذا المصحف الجميل الرائع انه رابع مصحف حبره ونمقه حافظ الخطاط الشهير . والى القارئ ما كتبه في آخر المصحف ضمن هالة بديعة يحيط بها غصنان مذهبان : « كتبه حافظ القران شهيد الدين الامام ميرّ اقبال من تلاميذ سليمان الكاشفي اللهم اغفر لي ولهم آمين سنة ثمان وثمانين ومائتين والف — المصحف الرابع » . وفي مكتبتنا كذلك مصحف ثالث طوله زهاء ثلاثة اشبار لا يقلّ عمره عن اربعمائة سنة . وُشي جلده بنقوش هندسية عربية مذهبة دقيقة الصنعة . وتعلو فاتحة هذا المصحف الثمين رسوم مدبجة بألوان لازوردية وخضراء . وهناك مصاحف شتى نادرة نؤلف اليوم متحفاً مستظرفاً في خزائن ابنتنا جان دي طرازي بباريس .

(١) خطط المقريزي جزء ٤ صفحة ٢٥٦

وروى عبد الرحمن الجبرتيّ عن الشيخ ابراهيم بن محمد سعيد الادريسيّ المتوفى سنة ١١٨٧ للهجرة [١] قوله: «كان قلمه كلسانه سيالاً . وربما شرع في كتابة سورةٍ من القرآن وهو يتلو سورةً أخرى بقدْرها فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته حتى يتمهما معاً» .

وكتب بعض المسلمين تفسير القرآن كله بألفاظ مهملة اعني خالية من النقاط [٢] . واشهر من عُني بمثل هذا التفسير السيد محمود حمزة الحسيني (١٢٣٦ — ١٣٠٥ هـ) فانه انشأ للقرآن تفسيراً مطوّلاً في مجلدين عنوانه «درر الأسرار» والتزم ان تكون كلمات التفسير كلها بحروف مهملة من أولها الى آخرها . ثم ألف معجماً مهملاً سماه «الكمل الى الكلام المهمل» للاستعانة به على التفسير المشار اليه [٣] .

واشتهر في عصرنا محمد علي بن بهاء الله زعيم الفرقة البهائية . فانه كتب بظفره كتابات ناتئة لا تقل جمالاً وروعةً عن كتابته بالقلم . وبرّز خصوصاً بما خطه بظفره على القرطاس من الآيات القرآنية والأمثال الحكمية . وتوفي شيخاً جليلاً سنة ١٣٥٥ للهجرة في «البهجة» بجوار عكا .

وفي مكتبتنا من الخطوط الناتئة قديمة وحديثة أنواع وأشكال نُقشت بأظفار ناسخيها وعلى بعضها تواريخ نساختها ترتقي الى نحو مائتي سنة لعصرنا هذا .

٨ — ترجمات القرآن وطبعاتها

لسنا نعرف كتاباً عربياً أثارهم العلماء والباحثين في اربعة اقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ صدر الاسلام حتى اليوم . تلك حقيقة صادعة لا تفتقر الى برهان يسندها او حجة تدعمها . وهذه الهمم شملت المسلمين وغيرهم على السواء فأكبوا على تلاوته وبالغوا في دراسته . ولم يَذَروا آية من آياته أو لفظة من ألفاظه أو معنىً من معانيه الا شرحوها وتبحروا في تأويلها ودققوا في تحليلها .

وكان السباقون في نقل القرآن الى مختلف اللغات منذ العصور الغابرة احبارُ

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار جزء ١ صفحة ٣٧٩ (٢) رسالة السلام : مجلة الخوري أنطون عقل في بيروت : سنة ١٥ صفحة ٧٧ (٣) تراجم مشاهير الشرق : لجرجي زيدان جزء ٢ صفحة ١٧٨

النصارى ورهبانهم وقسانهم · وقد عثر بعضهم منذ القرن الثالث عشر للميلاد في جامعة مونپليه بفرنسا على ترجمة للقرآن باللغة اللاتينية · والغريب أن ناقل هذه الترجمة راهب من رهبان النصارى مولود في جزيرة صقلية يقال له دومينيك جرمان · وقد تولى المستشرق داڤيك نشر تلك الترجمة في المجلة الآسيوية بباريس [1] ·

والأغرب من ذلك ان ابن الصليبي مطران ديار بكر (+ ١١٧١ م) في القرن الثاني عشر للميلاد سبق الراهب دومينيك المشار اليه فنقل الى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن ضمها في مؤلف خاص انطوى على ثلاثين فصلاً في مائة واربع واربعين صفحة كبيرة [2] · وقد نشر عام ١٩٢٥ احد تلك الفصول الفونس منكنا (+ ١٩٣٧) نقلاً عن مخطوطة المتحف البريطاني بلندن وأردفها بترجمة انكليزية · ويتقادم عهد تلك المخطوطة السريانية الى سنة ١٧٦١ يونانية الموافقة للسنة ١٤٥٠ للميلاد ·

واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن كاملة لا تقل قدماً عن الترجمتين المذكورتين · وهي مخطوطة نادرة أفلتت من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرُّها وأهلها عام ١١٤٥ للميلاد يوم احتلها زنكي ملك الموصل (٥٤٢ — ٥٩١ ﻫ) · ويتبادر الى الظن ان مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذي كان من أبرع كتاب تلك الحقبة وأبلغهم ·

وممن تطرّق من رجال الدين المسيحيّ في عهدنا الى ترجمة القرآن القسّ دَيل راعي الكنيسة في زنجبار فانه نقل القرآن الى اللغة السواحلية المستعملة في تلك الأرجاء ثم طبع تلك الترجمة عام ١٩٢٣ في لندن عاصمة الانكليز ·

ونرجح ان كثيرين من أحبار النصارى وقسانهم سوى مَن ذكرنا نقلوا القرآن الى لغاتهم للوقوف على سنن الدين المحمديّ ومعارضتها بسنن الدين المسيحيّ · ونعتقد ان تلك الترجمات محفوظة كلها او بعضها في خزائن الأديار او في دور الكتب شرقاً وغرباً ·

وتفرّد علماء الاستشراق خصوصاً بتعمقهم في درس القرآن وترجمته وشرحه وطبعه · فنقلوه الى لغاتهم نقلاً محكماً حتى أصبح في استطاعة الأدباء غير العرب

(١) المستشرقون: صفحة ٣١ (٢) كتاب الجدل: مخطوطة مكتبة البطريركية السريانية ببيروت ·

ان يقتنوه ويتصفحوه ويتفهموه . وأقدم ما عرفنـاه من تلك الترجمات الأوربية المختلفة ترجمة ايطالية وضعها عام ١٥٤٧ المستشرق اندريا اريڤابين[1] . وتلتها ترجمات وطبعات غيرها أحصينا منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية . وقد طبعت تلك الترجمات بتوالي الأزمان وتكرر طبع بعضهـا مراراً لرواج سوقها بين العلماء وأرباب البحث .

وأوفر الترجمات والطبعات عدداً هي الترجمات الانكليزية فالفرنسية فالألمانيـة فالايطالية . فترجمات القرآن الانكليزية مثلاً وهي احدى عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ستين طبعة . منها اربع وثلاثون طبعةً لترجمة جورج سيل وحدها . تليها ترجمات القرآن الفرنسية وعددها ثماني ترجمات بلغت طبعاتها اجمالاً سبعاً واربعين طبعة . منها اثنتان وعشرون طبعة لترجمة كزيميرسكي وحدها . تليها ترجمات القرآن الألمانية وعددها ثلاث عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ثلاثاً وعشرين طبعة . منها تسع طبعات لترجمة المستعرب اولمان فقط . تليها ترجمات القرآن الايطالية وعددها اثنتا عشرة ترجمة طبع منها اجمالاً احدى وعشرون طبعة لا غير .

وهناك خمس ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات : الفارسية والتركية والاسبانية والهولندية والارمنية والبنغالية .

تليها اربع ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات الصينية والبنجابية والغوجدانية .

ثم تليها ثلاث ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات : اللاتينية والروسية والاسوجية .

تليها ترجمتان في كل من اللغات : الأفغانية والبولونية والمجرية والدنيمركية والسريانية والقشتلانية والسندية .

أخيراً ترجمة واحدة للقرآن في كلٍ من اللغات : اليونانية والبلغارية والسربية والروتانية والالبانية والبرتوغالية والهندوكية واليابانية والجاويه والاردوية والسواحلية .

تلك خلاصة اثبتناها هنا بعدما تقصينا البحث عن ترجمات القرآن وطبعاته في الموسوعات والتآليف والفهارس والمجلات العلمية الموثوق بها .

(١) غرائب الغرب : لمحمد كرد علي : جزء ١ صفحة ٢٦٤ ـــ ٢٦٥

٩ — متاحف القرآن

لم يكتف علماء الاستشراق بترجمات القرآن وطبعاته على ما فصلنا بل هبوا منذ القرن المنصرم الى إحياء العلوم القرآنية وتعزيزها من جميع مناحيها . فأخذوا يستنهضون هِمم أهل المعرفة والنقد ليدرسوها ويستجلوا غوامضها ويعمموا نشرها في الآفاق . وقد نشطتهم الدول الأوربية الى ذلك وساعدتهم مساعدة أدبية ومادية . فأسست الجوامع الفخمة في أشهر العواصم وكبريات الحواضر . وأدرت الأرزاق لأئمة الدين وخدّام العلم . ومهدت أمامهم السبل للبلوغ الى الهدف المنشود .

ولنا أصرح مثال على ذلك ما سعى اليه وحققه المجمع العلميّ في بافاريا . فانه أخذ على عاتقه النهوض بجمع المخطوطات والنوادر المنطوية على نص القرآن . وعلى تاريخه وعلومه وشروحه وعلى كل ما يتعلق به . فحشد أرباب ذلك المجمع مصنفات وافرة احتوى بعضها على نسخ خطية أصلية وانطوى البعض الآخر على لوحات او صفائح فوتوغرافية نقلوها عن مصادرها . وأنشأوا من تلك المجموعات الثمينة متحفاً قرآنياً وحيداً في بابه كبير القيمة يُدهش العقول ويلفت الأبصار . واستأنفوا بعد هذا ينتقون من تلك الذخائر الخطية والشمسية أجودها وأفضلها وأفيدها وينشرونه على نفقة المجمع اعلاءً لشأن المعارف[١] .

الخاتمة

الى هنا خلاصة البحث عن « القرآن » ولا بدّ لي من الاقرار والتقرير بأنه ليس الاّ قطرةً من بحر . لكنه فيما اعتقد بحثٌ جديدٌ جديرٌ بالاعتبار فاستقيته من مناهل صافية ونقلته عن مصادر وثيقة صادقة . ولم اقصد في عملي الاّ تنبيه مَن تحدّثه النفس ليطرق هذا الباب ويتبسط في درس أصوله وفروعه . و « ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[٢] .

فيليب دي طرازي

---

(١) مجلة « الرسالة » في القاهرة : لاحمد حسن الزيات : سنة ٥ صفحة ٤٣٧

(٢) القرآن : سورة الحديد ٢٩

الحُرْفُوص

١ — حكاية تمهيدية للبحث

اقتنى مبعث الرهبان الكرمليين في بغداد ، في سنة ١٨٧٤ م ، بستاناً أنيقاً ، على صدر النهر المسمى بالمسعودي . وقد طُمّ اليوم ودُفن وكان بمبلغ قدره اربعمائة وخمسون ذهباً عثمانياً ؛ وكان يومئذ هذا المبلغ عظيماً . وكان البستان يعرف بالكشفية .

وقد قيل لي : إنه كان ملكاً لشيخ من شيوخ الكشفية [1] ، المشهورة يومئذ في بغداد ، وكان قد وجد المبلغ جسيماً ، فانتهز هذه الفرصة ليبيعه ، ويشتري غيره أكبر منه ، لكن أبعد موقعاً من الأول .

وفي سنة ١٨٩٥ ، طلب اليَّ رئيس المبعث أن اتولى ادارته ، فلبيتُ طلبه ، وبقيت في ادارته نحواً من ٢٥ سنة ، أو اكثر بقليل . وكان عندنا في سنة ١٩٠٣ زراع اسمه صالح ، وله امرأة اسمها شمسة ، وابنة اسمها زهراء . وكان عمرها يومئذ (١٦) سنة . وكانت قوية البنية ، مفتولة العضل ، تساعد والديها في الشغل ، وتقاسمهما اتعابهما .

ومما كان يدل على قوتها ، انها كانت تأخذ العجل على كتفيها . فتنقله من مرعاه الى الضيعة [2] ، ولا تشعر بالتعب وبقيت سنتين وهي أقوى شخص في بستاننا .

---

(١) « الكشفية » و تسمى « الشيخية » أيضاً هي النحلة المنسوبة الى (الشيخ أحمد الاحسائي) التي نشأت سنة ١٢٤٣ هـ . في المدينة المنورة أثناء ذهابه الى الحج ، وكان قد عاش نحواً من ٩٠ سنة وقد قضى أمداً طويلاً في النجف ، من مدن العراق ، وفي إيران . وفي أوائل المائة الثالثة عشرة أظهر نحلته ، وكان على مذهب الاثني عشرية الأصولية . وله مؤلفات فيه . ثم مال الى الباطنية (وهي قسم من المتصوفة) الغلاة منهم فصار يعتقد الجزء الالهي في الأئمة . وبهذا اختلف عن الاسماعيلية . ثم أغرى علماء العراق داود باشا للوقيعة به ، من جراء تحامله على الخلفاء الراشدين ، فهرب الى الحج ومات هناك . « عن المساعد . عن الاستاذ المحامي عباس العزاوي »

(٢) الضيعة يسميها العراقيون « الجاعة » والمصريون « العزبة »

ثم رأيتها ذات يوم لاتستطيع حمل اَلحوْليّ على كتفيها ، فقلت لوالدها : ما بابنتك زهراء ؟ قال : لا أعلم · قلت : اسألها · فسألها · فقالت : اشعر بتعب في جسمي · ولم تقل له الحقيقة ، حياءً منها · وبقيت تعاني آلاماً شديدة وتصرخ صراخاً يمنع أهل البستان من النوم ·

وكانت تشعر بلذع اليم في موطن خفي من جسدها ، وبقيت تكتم مرضها والآلام تزداد فيها تبريحاً ، وهي لا تنام حتى الصباح ، وأهل البستان يتشكون من شدة صراخها وقلة نومهم · فسألها والدها مره ثانية : ما بك يا زهراء ؟

قالت : لا أقول ما بي إلا لوالدتي · — فجاءت أمها وأخذتها على حدة ، وقالت لها ، ما بك يا زهراء ؟

قالت : — وهي خجلة — في سرّي ألم محرق ولا أستطيع ان أحتمله ·

فأخبرت شمسة زوجها بالأمر ثم جاء صالح وأطلعني على جلية الأمر ·

فقلت له : خذها الى طبيب ليداويها ·

فقال : نحن العرب لانطلع الرجال على بناتنا ولا على نسائنا، وان كنّ في خطرالموت

فقلت له خذها : الى امرأة طبيبة ·

فقال : ليس لنا هنا ولا في البلد طبيبة ماهرة ·

فتركها تعاني أشدّ الآلام حتى قضت نحبها ، وكان عمرها يومئذ (١٨) سنة وستة اشهر ، فماتت شهيدة الحياء والعفة والخفر ·

ثم مات أبوها حزناً عليها ، ولكونها كانت وحيدة البيت · — ثم بعد سنتين ماتت شمسة أيضاً ، فامحى هذا البيت واندثر ، لأن الصبية لم تؤخذ الى الطبيب

ولما غُسلت قبل دفنها ، لاحظت الغاسلة أن حرقوصاً ، كان قد علق بسرّها ، فامتص دمها حتى استنزفه فماتت ·

هذا كل ما سمعت بهذا الخصوص ، أي بما يتعلق بأمر الحرقوص ، وقد سماه (صالح) بهذا الاسم · وأما الغاسلة فسمته بالطّبّوع · وهو يكون في مبارك البقر ومرابطها · وكم وكم من انثى ماتت لهذا السبب ، ولم تجسر على ان تقول كلمة للشكوى ، حياءً وخجلاً !

٢ — حكاية ثانية

كنت أبحث كثيراً عن مثل هذه الحكاية في كتب الأقدمين، فلم أوفق للعثور عليها في كتاب والأدباء لا يتنازلون الى ذكر مثل هذه الأمور. وعند العرب — دون غيرهم — مثل مشهور: «كل شيء مهاه ما خلا النساء وذكرهن» فكيف يحتمل الرجل ذكر ما يتعلق بأخفى ما في الأنثى ؟

ثم عثرت هذه الأيام على نظير هذه الحكاية في مجلة المجمع العلمي العربي (في السنة ١٧ : ٣٤٢، ٣٤٣) في ما ينشر فيها باسم (جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي) ولكني رأيت في نشره في المجلة من الأغلاط ما اضطرني الى جلب كتاب (الفرج بعد الشدة) من مصر، وهو للمؤلف نفسه، وقد وردت فيه هذه الحكاية، في الطبعة الثانية من هذا الكتاب المطبوع في سنة ١٩٣٨، فأعدت النظر لأتحقق مواطن الغلط والخطإ ولم يرد عليّ إلا في هذه الأيام، وقابلت بين النصين، فألفيت في هذه النسخة أيضاً أغلاطاً جمة، فأصلحت النص الواحد بالآخر، حتى نهضت العبارة تسير على قدميها سيراً قويماً. ودونك هذه الحكاية على ما وردت في كتاب (الفرج بعد الشدة) في ٢ : ١١١ وما يليها، منقحة على ما تبين لنا، ونذكر أوجه الخلف الواردة في المجلة أو في الكتاب نفسه لينجلي الأمر كل الانجلاء :

حدّثني أبو الفضل، محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب، قال: حدثني القاضي[1] أبو بكر الجعابيّ الحافظ، قال:

دخلت يوماً على القاضي ابي الحسين ابن القاضي أبي عمر رحمهما الله، وهو مغموم، حزين، فقلت له: لا يغمّ الله القاضي، فما الذي أراه ؟

فقال: مات يزيد المائي.

فقلتُ: يبقي الله قاضي القضاة أبداً. ومن يزيد المائي، حتى اذا مات، اغتمّ عليه قاضي القضاة هذا الغم كله ؟

---

(١) ليست في المجلة

فقال : ويحك ! أمثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ، وما ترك في حذقه أحداً قط[1] ؟ وهل تفخر البلدان[2] إلا بكثرة رؤساء الصنائع[3] ، وحذّاق أهل العلوم فيها[4] ؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته ، بدّل الناس فرحهم بالترح[5] ، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم وانحطاط البلدان ؟

قال : ثم اقبل[6] يعدّد فضائله ، والأشياء الطريفة التي[7] عالجها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ، كان منها أن قال[8] : لقد أخبرني مذ مدة طويلة ، رجل من جلة أهل هذه البلد ، أنه كان قد حدث بابنةٍ له علة[9] فكتمت أمرها عنه ، ثم اطلع عليها ابوها ، فكتمها هو أيضاً[10] مدة ، ثم انتهى امر البنت الى حدّ الموت .

قال : فقلت له لا يصح ترك علاج هذا ، وكتمانا اكثر من هذا[11] .

قال : فكانت العلة ان فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً ، لا تنام منه الليل ، ولا تهدأ النهار ، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ ، ويجري منه في خلال ذلك دمٌ يسير كماء اللحم ، وليس هناك جرح يظهر ، ولا ورم كثير مزبد[12] .

قال : فلما خفت الآلام[13] ، احضرتُ يزيد ، فشاورته ، فقال أتأذن لي في الكلام ، وتبسط عذري فيه ؟ قلت نعم :

قال : لا يمكنني ان اصف شيئاً دون ان أشاهد الموضع بعيني ، وأفتشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة .

قال : فلعظم الضرورة[14] ، وبلوغها حدّ التلف ، أمكنته من ذلك . فأطال مساءلتها ، وحديثها بما ليس من جنس العلة . وبعد أن جسّ الموضع من ظاهره ،

(١) في المجلة : « ولا خلف له ولا أحد يقاربهُ في حذقه » (٢) « وهل فخر البلد »
(٣) كون الرؤساء «الصناع» (٤) «وحذاق أهل العلم فيه» (٥) «ولا بد للناس منها»
(٦) « ثم قال بعد ذلك . وأخذ يعدّد » (٧) « والأشياء الطريفة التي عالج بها »
(٨) «لم يتعلق [لم يعلق] أكثرها بحفظي . قال : وكان منها أن قال.» (٩) [علة طريفة]
(١٠) « ثم أطلعته عليها ، فكتمها هو مدة » (١١) « قال : فقلت لا يسعني كتمان هذا أكثر من هذا» (١٢) « ولا ورم كثير مزيد [كذا] » (١٣) في الكتاب والمجلة : [ألم خفت المأثم] (١٤) في الكتاب : [فلعظم الصورة]

وعرف بقعة الألم ، حتى كدتُ أبطش [1] به ؛ ثم تصبرتُ ورجعت الى ما أعرفهُ من ستره ، فصبرتُ على مضضٍ الى ان قال :

تأمر من يمسكها . ففعلتُ ؛ ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً ، فصاحت المرأة ، فأغمي عليها ، وانبعث [2] الدم ، واخرج في يده حيواناً ، أقل من الخنفساء ، فرمى به فجلست الجارية في الحال ، وقالت : يا أبتِ استرني ، فقد عوفيت .

فأخذ يزيد الحيوان بيده [3] ، وخرج من المحل ، فأجلسته [4] وقلت لهُ : أخبرني ما هذا ؟

فقال : ان تلك المساءلة التي لم اشك في انك انكرتها ، انما كانت لأطلب دليلاً استدل [5] به على سبب العلة ، الى ان قالت : انها في يوم من الأيام ، كانت جالسة في بيت [6] دواب من بستان لكم ، ثم حدثت العلة بها ، من غير سبب [7] تعرفه .

فلما كان في صفته الضربان ، تخيلت انه قد دبَّ الى فرجها [8] من القردان التي تكون على البقر ، وفي بيوته قراد ، قد تمكن من أول داخل الفرج ، وكلما امتص الدم من موضع ، ولد لها ضرباناً [9] ، وأنه اذا شبع ، خفَّ الضربان ، لانقطاع مصه ونقطت من الجرح [10] ، الذي يمتص منه الى خارج الفرج ، هذه النقط اليسيرة من الدم .

فقلتُ : ادخل يدي ، وأفتش ؛ فأدخلتها ، فوجدت القراد فأخرجته . وهو هذا الحيوان ، وقد تغيرت [11] صورته من كثرة ما امتصَّ من الدم مع طول الأيام .

قال : فتأملنا الحيوان ، فاذا هو قراد ، وبرأت المرأة [12] .

---

(١) [حتى كدت أن أثب به] (٢) [وانبث الدم] (٣) [واستترت وقالت : يا أباه ، استرني ، فقد عوفيت قال : فأخذ الحيوان في يده] (٤) [فلحقته وأجلسته وقلت له]

(٥) [إنما كنت أطلب شيئاً أستدل به] (٦) [انها في يوم من الأيام جلست في بيت دولاب بقر] (كذا) (٧) [من غير معرفة من ذلك اليوم] (٨) [فخلت أنه قد دبَّ الى فرجها] (٩) [فلما امتص الدم من موضعه ، ولد الضربان] (١٠) [نقط من الجرح الذي يمتص منه] (١١) [قد كبر وتغيرت صورته] (١٢) [قال وأراني الحيوان، واذا هو قراد. قال : وبرئت الصبية] .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضي ابو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه[1] » انتهى .

قلنا : ولم نجد الراوي ، ولا المروي عنه ذكر الاسم الخاص بهذا القراد ، أي انه لم يسمه (الحرقوص) ، بل باسم عام هو (القراد) كما رأيت .

واما انه الحرقوص بعينه ، فظاهر من كلام زراعنا (صالح) ومن الوصف الدقيق الذي وصفه به صاحب (الفرج بعد الشدة) وصاحب (المحكم) بحيث لا يبقى ثمّ أدنى شك كما ترى مما يأتي نقله .

٣ — الحرقوص في نظر صاحب المحكم وجماعة من اللغويين

قال في المحكم : « الحرقوص » هنٌ مثل الحصاة ، صغير أريقط بحمرة وصفرة ، ولونه الغالب عليه السواد ؛ يجتمع ويتلج تحت الأناسيّ وفي ارفاغهم ، ويعضهم ، ويشقّ الأسقية .

وفي التهذيب للأزهري — وهو من أعظم لغويي العرب وارسخهم قدماً في معرفة لُغى القبائل على اختلاف ديارهم — ما نصه : « دويبة صغيرة تثقب الأساقي وتقرضها . » — وقال سمعت الأعراب يزعمون انها تدخل في فروج الجواري . وهي من جنس الجعلان ، إلا انها اصغر منها ، سود منقطة ببياض . قالت أعرابية :

ما لقي البيض[2] من الحرقوص   من مارد[3] لص من اللصوص
يدخل تحت الفلق[4] المرصوص   بمهر لا غالٍ ولا رخيص

أراد بلا مهر . قال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم لا سُمَّ فيه كسمِّ الزنابير .

قال ابن بريّ : معنى الرجز : ان الحرقوص يدخل في فرج الجارية البكر . قال : ولهذا يسمى « عاشق الأبكار » فهذا معنى قوله : تحت الفلق المرصوص بلا مهر . » قالوا وجمع الحرقوص : الحراقيص .

(١) فقال لي أبو الحسين القاضي : فهل ببغداد اليوم من له في الصناعة مثل هذا ، أو ما يقاربه ؟ — فكيف لا أغتم بموت من هذا بعض حذقه

(٢) في نسخة : الناس

(٣) في نسخة الجمهرة : فاتك

(٤) في الجمهرة : يبيت دون الحلق .

٤ - الحرقوص على ما وصفه العرب غير ما ذكر

لم يتفق لغويو العرب على ان للحرقوص معنى واحداً كما تقدم بسطه؛ وذلك لأن الكلمة الواحدة قد يكون لها معنى في قبيلة غير المعنى المعروف في القبيلة الأُخرى، وقد يكون لها معنىً في بلد عربي اللسان، ولا يكون لها ذلك المعنى عينه في البلد الآخر. ولهذا نذمّ عمل من يحصر المعنى الواحد للكلمة الواحدة، في حين ان لها معاني شتى يختلف الواحد عن الآخر. يشهد على ذلك ما للحرقوص من المعاني المتنوعة بحسب البلاد والقبائل. ونحن ننقل عن التاج ما جاء في هذا الصدد، لنبين للباحثين انه لا يحسن بهم أن يجعلوا معنى واحداً للفظ الواحد، اذا كان ثمّ عدة معان، وهم يفعلون ذلك ذهاباً وراء ابناء الغرب، لكن لساننا يختلف عن ألسنتهم، ومزايا لغتنا غير مزايا لغتهم. ولذا يجب علينا ان نراعي حقوق السلف في مثل هذا الموضوع. قال السيد مرتضى في تركيب (ح ر ق ص):

[١ً] «الحرقوص، بالضم، دويبة كالبرغوث، ربما نبت له جناحان، فطارت نقله الجوهري.

[٢ً] وقيل: هي فوق البرغوث.

[٣ً] وقال الليث: هي دويبة مجزعة، حمتها كحمة الزنبور، تشبه بها السياط.

[٤ً] أو دويبة صغيرة كالقراد، تلصق بالناس. عن ابن دريد. قال الشاعر:

زكمة عمار بنو عمار مثل الحراقيص على الحمار

[٥ً] او هي أصغر من الجعل. عن ابن السكيت.

[٦ً] ما نقلناه في صدر الدبرة الثالثة. وكل ما ورد في سائر الكتب لا يخرج عن أحد هذه الأقوال، أو عن طائفة منها.

فالحرقوص بالمعنى الأول يقابله بالفرنسية على رأينا Larve du cousin

وبالمعنى الثاني Ascaride eombrical

وبالمعنى الثالث Tenthrède، وهو كثير الوجود في العراق، وجزيرة العرب.

وبالمعنى الرابع هو الفسافس، والطمج والكتان (زنة رمان) وبالفرنسية Punaise

وبلسان العلم [1] Cimex . وهذا يتعرض للحمام والخفاش والحمار ولغيرها من أنواع الهوام والحشرات .

وبالمعنى الخامس معروف في الأرجاء الشمالية من العراق، واسمه الفرنسي Pentatome

وأما المعنى السادس فهو الشائع عند اغلب العرب ، وهو الذي وصفناه في هذا المقال . وبهذا المعنى ذكرنا الحكايتين .

وقد جاء الحرقوص بمعنى غير المعاني الستة التي ذكرناها هنا . فقد ورد مضافاً الى الحديد ، إذ قال السلف من أهل الكيمياء والصيدلة : « حديد الحرقوص » وهو تصحيف لقول الفصحاء منهم : « حديد الخلقوس »، وهذه الكلمة يونانية من Khalkos أي نحاس . والمراد بحديد الحرقوص . النحاس المحرق الذي يسميه العراقيون : « راسُخت » وهذه فارسية الأصل . قال ابن ميمون وغيره : « الروسختج هو النحاس المحرق الذي تسميه عامة المغرب : « حديد الحرقوص » انتهى

٥ — الحرقوص في تحقيق العلماء

اسم الحرقوص عند علماء الحشرات Ixodes ، والكلمة يونانية الأصل معناها : اللاصق ، والملتصق ، واللزج . وهو ضرب من العناكب ، من رتبة هوام الجرب ، ملوّز الشكل ، وقد يكاد يكون مُداراً ، واذا كان قتيناً ، كان مبسوط الجسم ،

(١) أنكر بعض المتفصحين قول الأدباء : « لسان العلم » زاعمين أن ليس للعلم لسان ليتخذ في الكلام . قلنا : وهذا لا شك فيه ، لكن الذين يقولون لسان العلم ، يريدون لسان أهل العلم ، كما لا يخفى على كل شاد من العربية وأحكامها . وهذا ما يسمى باب حذف المضاف وإبقاء المضاف اليه ، ومنه في سورة يوسف : [واسأل القرية] . فهل للقرية لسان حتى تجيب على السؤال ؟

وقالوا : فلان يلبس السواد والبياض ، يعنون به الأسود والأبيض، وهو على تقدير ذي السواد وذي البياض — وفي الحديث يا خيل الله اركبي ، أي يا فرسان خيل الله اركبي . —

وقال اللغويون : [ومن أمثالهم : حلفت بالسمر والقمر . ولا آتيك السمر والقمر ، ولا أفعله السمر والقمر ، ولا أكلمه السمر والقمر . أي سواد الليل وبياضه بطلوع القمر ، او ما دام ظل القمر واشراقه . يعني أبداً . وكله على تقدير محذوف . أي مدة وجود السمر والقمر . كما في قولهم : لا أكلمه القارظين ، أي مدة غيبة القارظين . [انتهى]

ومثل هذا كثير في كلامهم ولا يكاد يُحصى عدّاً .

وينتفخ اذا امتلأ من دم الحيوان الذي يعيش عليه ، أو اذا امتلأ بيضاً ، وهو أسمر اللون الى دكنة . صلب الجلد ، مندغم الرأس بالصدر ، صغيره بالنسبة الى سائر جسمه . وله مجاسّ ذات أغمدة ، وممصّ قرنيّ القوام ، وله انف بارز ، قصير ، كأنه مقطوع قطعاً ، وله اكارع ذوات عقاقيف ، تمكنه من ان يتشبث بما يشاء من الأجسام ، ويكون في البلاد الحارة عالقاً بأنواع الأنبتة ، لا سيما بالرَّتم والرمث وأشباههما ويعلق بالحيوانات التي تحتك بها ، اي بالكلاب ، والخيل ، والبقر ، والقططة ، والغنم ، بل يتعرض للإنسان فيؤذيه أذية تشبه اللذع ، فيضطره الى الحك ، فيحمر المكان ، ويرم ، وينتفخ .

وهو ضروب ، منها : القَمْقام ، والعَلّ ، والطِّلْح ، والبُرام ، والقُرْشوم ، والنبر (بالكسر) والضُّفّ (بالضم) ، والكُرّاش (كرمان) ، والعِلْهِز (كزبرج) (منقول عن معجم لتره الطبي الفرنسي بتصرف قليل)

٦ — أسماؤه في لغتنا

يسمى [الحرقوص] : (الحرقوس) أيضاً ، بالسين . ذكره اللغويون . — ومن اسمائه (النهيك) كأمير ، فعيل بمعنى فاعل ، لأنه ينهك من يتعرض له أي يضنيه ويجهده .

ويسمى أيضاً (النُّهَيْك) كزُبَير بالتصغير ، لتعظيم اذيته ، وهو تصغير تعظيم لأذية من يتشبث بلكعه .

وهو (النُّهَيْكَة) أيضاً ، بزيادة هاء في الآخر وهي للمبالغة . قال في مستدرك التاج في (ن ه ك) : و (النهيكة) : دابة سويداء مدارة ، تدخل مداخل الحراقيص »

وسموا ولد الحرقوص : (حَبْرْقَصاً) ويقال له (حبرقس) بالسين أيضاً . وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان (٦ : ١٥٥) من طبعة الساسي ، لكننا لم نجد فيها سوى أبيات شعرية ، وليس فيها فائدة علمية جديدة تزيد على ما ذكرناه .

وقد سماه كثيرون (عاشق الأبكار) لأنه يتلج في اسرارهن ، وأغلب

كبار اللغويين ذكروه في مادة حرقوص ، لا في موطن آخر [1] .

وهناك ضرب من الحرقوص اسمه (حَرَنْقصى) ، كحَبَرْكَى [أي بفتح الأول والثاني وإسكان الثالث وفتح الرابع يليه الف مقصورة] قاله ابن دريد وابوزَيد . والواحد حَرَنْقصاة ، بالهاء عن ابن عباد .

وثم أيضاً (الحُرْقصاء) كقرْفصاء . نقلها ابن سيده . ولم يحلها . وقيل : هي الحَرَنْقصى الذي ذكره ابن دريد وابوزيد . ونحن نوافق على ذلك والكلمة تعريب Argas ، مبنى ومعنى ، أو يكاد .

٧ — رأي المستشرقين

من أقدم المستشرقين ايطالي اسمه (انطونيو جيجيو) المتوفى سنة ١٦٣٢ م . ويعقوب غوليوس ، وهو هولندي ، وتوفي سنة ١٦٦٧ . وقد اتفق كلاهما على ان الحرقوص (وضبطا الكلمة خطأ بفتح الأول) : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له جناحان فيطير . ولم يتمكنا من معرفة اسمه العلمي

ثم جاء الألماني جورج غليوم فريتغ المتوفى سنة ١٨٦١ ، فقال في معجمه العربي

---

(١) ومن أسمائه [النبر] بنون مكسورة يليها باء موحدة تحتية ساكنة ، يليها راء قالوا : هي دويبة أصغر من القراد ، تلسع فينتبر موضع لسعتها ويرم . وقيل هو الحرقوص . وقال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم ألماً لا سم فيه كسم الزنابير] اه

وكذلك قال الدميري وهذا كلامه :

(النبر ، بالكسر : دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه اذا دبت على البعير تورم مدبها والجمع نبار وأنبار ..) وليست بذبابة ، كما توهم أحدهم ، والنبر بلسان العلم أي بلسان أهل العلم أو بلسان العلماء Ixodes camelorum وهو قراد صغير أكثر ما يعرض الابل ، وسماه آخرون : Cimex camelorum والمعنى واحد وان اختلف الألفاظ ، لكنه ليس بذباب كما ذهب اليه أحدهم ، فقال عليه : (ذباب كذا يتطفل على الغنم والابل والبقر والخيل فيتولد منه النغف (كذا) والنبر لا يلسع (كذا) والجميع يقولون إنه يلسع وانما يبيض تحت الجلد والمشهور أن النبر يبقي بيضه في بطنه ، ويخرج منه نغف ، اما في الجلد أو في مجاري الأنف ، أو في المعدة . ولما كان النغف لا يلسع قالوا عنه (كذا) أي قالوا عليه دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وانتفخ ، وربما يكون ذلك سبب هلاكه ، انتهى . قالوا : واسمه بالانكليزية Botfly والحال أن Botfly هو النعرة لا النبر . والوهم يسير ان شاء الله اذ الفرق هو بين النون والعين من جهة ، والنون والباء من جهة أخرى . فتأمل .

اللاتيني ما معناه : «الحرقوص ويجمع على حراقيص : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له بعض الأحيان جناحان ويتعرض للناس . »

« وقال آخرون : (هو حشرة مجزعة بأحمر واصفر . وذهب جماعة الى أنه أكبر من البرغوث ويلسع لسعًا مؤلمًا ، وله جناحان . — وثمّ فريق ذهب الى أنه البرغوث » انتهى كلام الألماني .

فأنت ترى ان فريتغ أطول نفسًا من غيره وامتع تعريفًا منهم ؛ لكنه لم يذكر لنا اسمها العلمي . وهؤلاء اللغويون الثلاثة صنفوا معاجمهم بالعربية واللاتينية . وقد عربنا كلامهم هنا نقلاً عن دواوينهم .

واما (قزميرسكي) فكان مستشرقًا بولونيًا ، ذهب الى فرنسة ، واتخذها وطنًا له بعد وطنه الأول ، ومات فيها في نحو سنة ١٨٧٠ ، ووضع معجماً ضخماً ، طبع مرة في باريس ثم في مصر ، وما هو بالحقيقة : إلا نقل معجم فريتغ الى الفرنسية مع بعض زياداتٍ طفيفة . وقد قال في الحرقوص ما معناه : « حشرة مجنحة » ولم يزد على هذا القدر الزهيد .

وفي الآخر ، جاء اللغوي الانكليزي (لين Lane) ووضع معجماً عربيًا انكليزيًا ، سماه (مدّ القاموس) وهو من أحسن المعاجم الى حرف الراء ، لكنه توفي بعد ذلك وأكمله غيره إكمالاً سيئًا ، لأن المسودة لم تكن كاملة بيده بعد وفاة مؤلفه . وقد نقل (لين) المعاجم العربية الى الانكليزية نقلاً متقنًا دقيقًا بل في غاية الدقة ، كل ما جاء من الكلام على الحرقوص في الصحاح ، والأساس والقاموس ، والتاج ، لكنه لم يعرف اسمه العلمي ، ولذا لم يذكره لنا . ولما كان الكلام المذكور منقولاً في ما دوّناه نحن هنا ، لا حاجة لنا إلى إعادته ولا نتعب القارئ بالوقوف عليه ثانية على غير طائل .

٨ — رأي علمائنا المعاصرين

ظنّ أحدهم ان الحرقوص هو (ام اربع واربعين) ، وذكر من اسمائها (أم سبع وسبعين) ، و (الحريش) ، و (العقربان) ، و (دخال الأذن) ، و (دخالة الأذن) ،

و (الدُّخال) كرُمان ، و(الدُّخلل) : بضم الدال المهملة ، وفتح اللام الأولى ، و (اُلحرقص) كهدهد ، بلسان أهل السودان ، و (أبو مقص) . فهذا كله رأي قائل لا قوام له . بل نقول: كان السكوت أولى من هذا الخلط .

قال : ان اسمه بالانكليزية Earwig واسمه العلمي Centipede وفي موطن آخر من كتابه ، قال اسمه العلمي المشهور : Forficula Auricularis .

أما الدكتور محمد شرف بك فقد أصاب بعض الاصابة حين قال في مادة : Ixodes « اكسودس — حشرة الطلح من نوع حيوانات الجرب . جنس الطِلح من القراد . » فنعترض على هذه الألفاظ : انه كان في غنى من استعماله : اكسودس، ولا حاجه به الى قوله « حشرة » وكان حسبه ان يقول : حرقوص والجنس هو حرقوصيات . وأما الطلح . وكذلك الطليح ، فليس من الغلط .

٩ – نظرة مجملة في الحرقوص

اتضح بما بسطناه الى هنا ، ان للحرقوص عدة معان ، وكل معنى خاص بقبيلة دون القبيلة الأخرى ، أو ببلدٍ عربيٍ دون بلدٍ آخر ، وان لم يبين اللغويون هذ الأمر . ومثل هذا كثير النظائر في لغتنا . فان للعجوز مثلاً أكثر من ستين معنى . وقد نظم الشيخ يوسف بن عمران الحلبي قصيدة مدح بها قاضياً ، جمع فيها جميع معاني (العجوز) ، وختم كل بيت بكلمة (عجوز) ؛ إلا ان معانيها تختلف باختلاف مواقعها في كل بيت من تلك الأبيات . وربما جمع في البيت الواحد ذكر العجوز مرتين أو ثلاثاً ، بل ربما أربعاً ، ولها في كل مرة معنى يختلف عن معنى اللفظ الذي سبقه . وعدد الأبيات ستون . وقد ذكرها الشارح في ديوانه في مادة (ع ج ز) .

ولم تنفرد العربية بهذه المزية ، ففي اللغات الغربية أشباه ونظائر لا تحصى . وكفاك بحثاً ان تنظر في معجم انكليزي لتحقق بنفسك ما ننبهك عليه . وكذلك يقال في الالمانية والفرنسية والإيطالية .

ولهذا نقبح ونرذل رأي من يحصر لفظ (الحرقوص) في معنى واحد ، ويلح على ان لا يكون له إلا معنى واحد . فكيف لو قلت له معنيان ، أو ثلاثة ، و سبعة ، او اكثر ؟ !

١٠ — أصل كلمة (الحرقوص)

قد يكون أصل (الحرقوص) عربياً محضاً ، منحوتاً من (الحرق) . و (القرص)، لأن قرص بعض أنواعه محرق كل الإحراق ، وشديد الإيلام . او ان الحرق هنا بمعنى (الخرق) ، بالخاء المعجمة لخرقه المكان الذي يمتص منه الدم ، على ان هناك من يقول: ان الكلمة يونانية الأصل ؛ لأن اليونانيين عنوا بتدوين اسماء الحشرات والطيور والحيوانات والنباتات منذ أقدم الأزمنة ، وتركوا لنا تصانيف في هذه المباحث ، لا تزال الأسس الثابتة والمكينة لها الى عهدنا هذا .

فالحرقوص قد يكون من اليونانيـة Euchroeus أو Euchrée أي الحسن اللون ، أيا كان ذلك اللون . وحسن الألوان تتبع الأشخاص : فقد قيل : لا جدل في الأذواق ولا في الألوان Degustibus et coloribus non disputandum

١١ — الخلاصة

جاءت الحرقوص بمعان مختلفة عديدة ، وكل معنى خاص بقوم دون قوم من العرب ، وبقبيلة دون قبيلة ، أو ببلد دون بلد من ديارهم ، فلا يحسن بالقارئ ان يحصرها جميعها بقوم واحد ، أو بمعنى واحد ، فهي موزعة على طوائف من القبائل ، ويجب ان تحترم ، ويعطى كل ذي حق حقه . وهكذا لا يقع خبط ولا خلط ، فتسلم بذلك لغى القبائل ، وتسلم الألفاظ من تعاكس المعاني ، وبذلك أيضاً يسلم اللسان من المفاسد والتشاكس ، لكن اشتهر (الحرقوص) بالحشرة التي تسمى بلسان العلم Ixode . وهذا خلاصة هذه المقالة الطويلة المملة .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

دير الفارُوس

بجانب اللاذقية

من الغريب ، أنَّ هذا الدير لم يذكره الشابشتي في كتاب « الديارات » ، ولا البكري في « معجم ما استعجم » ، ولا ياقوت الحموي في « معجم البلدان » !

ودير الفاروس ، من أقدم الديارات في الشرق ، فإنَّ تأسيسه يرقى إلى صدر النصرانية . وأقدم ما انتهى إلينا من أخباره يعود الى سنة ١٨١ للميلاد ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي والپول (F. Walpole) في رحلته الشرقية [١] أنه وقف في مدينة اللاذقية على نسخة خطية من الكتاب المقدس ، مكتوبة بخط مليح ، ومحافظ عليها أحسن محافظة ، بالرغم من مرّ العصور عليها . ولقد كتب هذه النسخة ثيودُسيوس الأسقف اليوناني ، سنة ٤٩٢ يونانية (= ١٨١ م) فهي إذاً من مخطوطات المائة الثانية للميلاد . ثم قال : إنه في سنة ١٧٢٧ يونانية (= ١٤١٦ م) وَجَد الأسقف نقفور (Nicephorus) أن صفحة العنوان من هذه المخطوطة أصبحت لعتقها غير مقروءة ، فأعاد كتابتها طبقاً لما هي عليه في الأصل ، ثم أثبت ختمه فيها دلالةً على صدق « التاريخ » الوارد في الصفحة التي أصابها البلى . وهذه النسخة الغابرة العهد ، كتبت لكنيسة « فاروس » وهي كنيسة كانت تُعرف باسم « القديس جرجس [٢] » حينما نهبها الترك ، وبات من الصعب اليوم معرفة أخربتها في خارج المدينة .

ومما ذكره والپول أيضاً ، أنه وجد هناك نسخة عربية من الكتاب المقدس ، كتبت لكنيسة الفاروس سنة ٧٩٣ يونانية (= ٤٨٢ م) . كما أنه رأى هنالك نسخة خطية من

---

(١) The Ansayrii, and the Assassins, with Travels in the Further East, in 1850—51, including a Visit to Nineveh. (Vol. 3, London, 1851; pp. 83—86)

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الكنيسة ، منذ بدء تأسيسها ، قد سميت باسم [القديس جرجس] لأن هـذا مات نحو سنة ٣٠٤ م . في حين أن خبر المخطوطة أعلاه كان في سنة ١٨١ م . وهي الى ذلك ليست سنة تأسيس الكنيسة كما لا يخفى .

تفسير الكتاب المقدس ، فيها ورقة حوت نبذة تاريخية جزيلة الفائدة ، نقلها الى الانكليزية في كتابه المذكور . ومما ورد فيها أنه لم يبق للنصارى في مدينة اللاذقية ، وذلك سنة ٦٦٧ للهجرة (= ١٢٩٦ م) غير عشر كنائس ، وقد ذكرها بأسمائها ، مع عدد قسوس كل منها في ذلك التاريخ . ومن بين تلك الكنائس العشر ، كنيسة الفاروس (El Farous) قال ان فيها ستة قسوس .

فهذا الخبر الأخير ، يرتقي الى المائة السابعة للهجرة .

وأقدم ما وقفنا عليه في المراجع العربية ، في صفة هذا الدير ، ما ذكره شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الرَّبوة (المتوفى سنة ٧٢٧ ﻫ) . قال ما هذا نصه :

« وبها [أي باللاذقية] دير الفاروس ، من أعجب البناء في الديور ، وله يوم في السنة[١] تجتمع النصارى اليه[٢] » اﻫ .

وقد نقل المستشرق لسترنج (Guy le Strange) قول شيخ الربوة في هذا الدير الى الانكليزية ، في كتابه فلسطين في عهد الإسلام[٣] .

وممن ذكر هذا الدير ، البلداني المؤرخ أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ ﻫ) ، في عرض كلامه على اللاذقية فقال إنها « بلدة ذات صهاريج ، وهي على ساحل البحر ، وبها ميناء مفضلة على غيرها . وبها دير مسكون يعرف بالفاروس ، حسن البناء »[٤] .

وقد تصحف اسمُ هذا الدير في « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ) الى دير القاروس[٥] ، قال بصدده :

« دير القاروس : على جانب اللاذقية ، من شمالها ، وهو في أرض مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة . وفيه يقول ابو علي حسن بن علي الغزي :

---

(١) كانت كنيسة هذا الدير في عهد شيخ الربوة ، تعرف بكنيسة القديس جرجس . ولهذا القديس عيد يقع في ٢٣ نيسان من كل سنة . وعندنا أن اليوم الذي تجتمع النصارى اليه ، هو يوم عيده .

(٢) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ص ٢٠٩ طبعة مهرن (Mehren) في بطرسبرج ، سنة ١٨٦٥ . (٣) Palestine under the Moslems (1890 ; p . 491) .

(٤) تقويم البلدان (ص ٢٥٧ طبعة رينو Reinaud ودي سلان De Slane في باريس ، سنة ١٨٤٠) . (٥) بالقاف . والصواب انه بالفاء على ما يجيء بنا .

لم أنس في القاروس يوماً أبيضا مثل الجبين يزينه فرعُ الدُّجى
في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجا
واللاذقية دونه في شاطئٍ بلوره قد زين الفيروزجا
ولديَّ من رهبانه مُتنمس أضحى لفرط جماله متبرجا
أحوى أغنّ اذا تردد صوتهُ في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى
لا شيء ألطف من شمائله إذا حثَّ الشمولَ ولفظه قد لجلجا
فله ولليوم الذي قضيته معه بكائي لا لربع قد شجا[1] انتهى

ولكنَّ للناشر المغفور له احمد زكي باشا ، تعليقاً على هذا الدير لا يستقيم والحقيقة . فقد قال في الحاشية بأسفل تلك الصفحة : «أنظر فتوح البلدان للبلاذري . ص ٣٥٧» . وهذه الحاشية توهم أنّ دير القاروس قد ذكره البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) . ولكن عند الرجوع الى الصفحة المذكورة من كتاب البلاذري ، وجدنا عجباً ، واليك قوله بالحرف الواحد :

«وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : قاد ابو موسى الأشعري نهر الأبلّة من موضع الدّجانة الى البصرة ، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكانٍ يقال له (دير قاووس) ، فوّهته في دجلة فوق الأُبلّة بأربعة فراسخ[2]»

فما أعظم الفرق بين الموطنين ، وشتان ما بين الأُبلة واللاذقية ونظنّ ان الذي دفع زكيّاً باشا إلى هذا الوهم ، هو انه في مراجعته «فتوح البلدان» ، اكتفى بتدوين اسماء الديارات الواردة في «فهرست الأمكنة» المثبت بآخر الكتاب ، ليشير اليها في تعليقاته على «مسالك الأبصار» دون الرجوع الى المتن والتثبت من صحة انطباقه على ما يريد .

وقد نقل الأستاذ محمد كرد علي بك ، من مسالك الأبصار ما ورد بصدد هذا الدير[3] ، في كتابه الموسوم «خطط الشام» فورد هناك — تبعاً للأصل المنقول عنه — «دير القاروس» بالقاف .

---

(١) مسالك الأبصار (١ : ٣٣٦ بتحقيق أحمد زكي باشا) . (٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٥٧ طبعة دي غويه) . (٣) خطط الشام (٦ : ٣٤ — ٣٥) .

وممن وصف هذا الدير أيضاً الرحالة الذائع الصيت ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ هـ) قال في رحلته : « وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكلُّ من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخلّ والكَبَر[1] » .

إنّ ما ذكره ابن بطوطة في هذا الوصف ، نقله لسترنج الى الانكليزية في كتابه المشار اليه في أوائل بحثنا (ص ٤٩٢) وكذلك فعل الأستاذ حبيب زيات ، ولكنه سماه « دير القاروص » بالقاف ، وآخره صاد مهملة[2] .

ويقول العلاّمة الآثاري دوسّو (René Dussaud) في كتاب جليل له[3] ، إن بقايا هذا الدير (Deir el - Farous) يمكن ان يُبحث عنها في أخربة « تلّ فاروس » (Tell Farous) الواقع بين اللاذقية وقرية بِسْنادا ، وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ونصف الميل . وقد أثبت دوسو موقع هذا التلّ في خريطته التاسعة الملحقة بكتابه المذكور .

وقد ذكر دوسو في الحاشية ٣ من الصفحة ذاتها : انّ كلمة فاروس (Farous) وردت بلفظ فاڤوس (Favous) في : . Revue Or. Lat ., IX p . 38, note 4

اما لفظة « فاروس » فكلمة دخيلة ، لم نعثر على تفسير لها في المعاجم العربية المختلفة التي بين يدينا ، فهي مما يُستدرك عليها . بل لقد أغفل ذكرها كل من دوزي (Dozy) في « تكملة المعاجم العربية » ، وفنيان (Fagnan) في معجمه « زيادات على المعاجم العربية » .

وقد وقفنا في كتاب « العنوان » ، وهو تاريخ عام ، لأغابيوس [محبوب] بن قسطنطين المنبجي ، (من أهل المائة العاشرة للميلاد) على مايلي: « فاروس الاسكندرية: وهو البرج والمنظرة الذي في داخل البحر »[4] . فهل عُرف دير الفاروس بهذا

(١) تحفة النظار (١ : ١٨٢ — ١٨٣ طبع باريس) . (٢) الديارات النصرانية في الاسلام (ص ٥٩ — ٦٠) . (٣) Topographie Historique de la Syrie Antique et Mediévale (Paris , 1927 ; p. 415) . (٤) كتاب العنوان (ص ١٢ طبعة ڤازيلييف Vasiliev . في الباترولوجية الشرقية لغرافن ونو . باريس ١٩٠٨) .

الاسم لوجود برج او منظرة فيه ؟ ذلك بعد ان مرّ بنا انه كان بجانب اللاذقية ، وان اللاذقية كانت من أشهر الموانئ على البحر المتوسط ؟

أما اصل لفظة « فاروس » فمأخوذة من اسم جزيرة فاروس (Pharos)، وهي جزيرة صغيرة في ميناء الاسكندرية ، أقام فيها بطليموس فيلادلفس وهو الثاني من بطالسة مصر (٢٨٥ — ٢٤٧ ق ٠ م) مناراً شهيراً ٠

وفي معجم ويبستر الكبير ، ان لفظة فاروس مأخوذة من اللاتينية واليونانية ، بمعنى الفنار أو المنار[١] ٠

* * *

يؤخذ من ذلك كله ، انّ اسم هذا الدير ورد في المراجع التاريخية والبلدانية بأوضاع مختلفة ، وهي : دير الفاروس، ودير الفاروص، ودير القاروس، ودير القاروص، ودير الفاقوص ٠ وعندنا انّ التسمية الأولى هي الصحيحة التي يجب ان يؤخذ بها ٠

أما إلى أية فرقة نصرانية كان يُنسب هذا الدير ، ومَن مؤسسه ، وفي أي سنة كان ذلك ، وما مجمل أخباره ، ومتى تمّ خرابه ؟ فلم نقف على شيء منها فيما بين يدينا من مراجع ٠

(بغداد) كوركيس عواد

(١) Webster's New International Dictionary of the English Language (2nd ed . , London , 1934 ; p . 1837 , col . 3) .

حديقة الورود

في أخبار أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود

اسم كتاب، ألف الجزء الأول منه الشيخ عبد الفتاح آل الشواف، جمع فيه أخبار شيخه، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، صاحب «روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» وأتم الجزء الثاني منه نجل المترجم السيد نعمان خير الدين الألوسي، صاحب كتاب: «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» و «غالية المواعظ» أما الجزء الأول فيشتمل على (٣٨٣) صفحة طول الصفحة (٢٠) سنتيماً وعرضها (١٥) سنتيماً وتشتمل الصفحة منه على تسعة عشر سطراً، بخط جلي جميل جداً. وقد استنسخ هذا الجزء السيد أحمد شاكر، نجل أبي الثناء السيد محمود في صفر سنة ١٢٩٦ هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بنحو من أربع وثلاثين سنة.

وأما الجزء الثاني فيشتمل على (٢٨٥) صفحة على غرار صفحات الجزء الأول إلا أنه دونه في جودة الخط، وفوقه في جمال الأسلوب وحسن التبويب والترتيب.

وقد تم نسخ هذا الجزء في ذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ. وهي السنة التي تم فيها تأليف هذا الجزء. ومن هذا يُعلم ان هذه النسخة انما هي مبيضة لمسودّة الأصل.

والنسخة بجزئيها محفوظة في خزانة صديقنا السيد محمد درويش الألوسي حفيد أبي الثناء، مدرس مدرسة السيد سلطان علي في بغداد.

وأسرة الشواف التي ينتمي إليها مؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب من الأسر الكريمة في بغداد.

اشتهر من بين رجالها طائفة من أعلام الأدب، من أشهرهم الشيخ عبد العزيز الشواف أحد أشياخ السيد محمود الألوسي. والشيخ طه الشواف — مفتي البصرة الأسبق — وكانت له قدم راسخة في العلوم الشرعية والآداب العربية.

وقد وقفت له على نظم أصيل يذكر بشعر الفحول من شعراء الصدر الأول.

والشيخ عبد الفتاح ، إنما يمت الى هذه الأسرة من ناحية الخئولة ، أما أبوه (واسمه سعيد بن يوسف) فقد قيل لي إن اصله من نجد . وإنما عرف الشيخ عبد الفتاح وأخوه الشيخ عبد السلام بالانتساب إلى اخوالهما لمكانة شهرتها في العلم .

والشيخ عبد الفتاح احد تلاميذ أبي الثناء ، الذين لازموه وانتفعوا به . وكتابه هذا يدل انه كان ممن تعاطى الأدب . وشعره دون نثره في الجودة .

ومن امثلة شعره قوله من قصيدة طويلة رفعها الى شيخه الشهاب بعد غياب طويل ، مطلعها :

إلام أراني عنك في الدهر مبعدا ويمسي خليٌّ منك في الدهر مسعدا
وحتى متى هذا التجنب والقلى وقد غار طرفي والتصبر أنجدا

ومنها :

ملاذي شهاب الدين ذو الحلم والوفا ورب الحجا والصفح عمن قد اعتدى
هو العلم الفرد الذي فاق مفخراً وطاب نجاراً في الأنام ومحتدا

ومنها :

غدا من كتاب الله اذ رام كشفه لأسراره (روح المعاني) مجردا
هو البحر في فيض النوال لمجتدٍ وغيث مربع للذي كان اجهدا
له حسن خط لو رآه ابن مقلة لود له انسانه يجعل الفدا

أما مثال نثره فسيمر بك قريباً . وكانت وفاته في شوال سنة ١٢٦٢ بالهيضة . ومن هذا يظهر انه توفي قبل وفاة شيخه بنحو من ثماني سنوات وأن ابا الثناء عهد باتمامه إلى ولده السيد نعمان خير الدين المذكور آنفاً .

وقد حشد الشيخ عبد الفتاح في الجزء الأول من هذا الكتاب — الكثير من أخبار ابي الثناء فبسط نسبه ، وذكر مقر أسرته في القديم والحديث ، ومشايخه وبعض اجازاته ، وتلاميذه ، وإجازات بعضهم . وبعض تآليفه ، والمراسلات التي ادرت بينه وبين فضلاء عصره في دار السلام وفي حواضر الاسلام . وفي ضمن ذلك : الأسئلة التي كانت ترد عليه والأجوبة التي تصدر عنه . والمناصب التي تدرج فيها

والأوسمة التي أحرزها . بل تبسط في أمور ليست بذات شأن ، مثل التقاريظ الكثيرة لكل تأليف من تآليفه والتهاني بولادة كل ولد من أولاده وكل منصب من مناصبه . وبكل رتبة حصل عليها ، وبشراء دار له وبإنشاء الشاذروان فيها .

بل هناك تهانئ بشأن بعض الهدايا التي وصلت الى يده مثل التهانئ بكتاب الميزان للشعراني الذي أهداه إياه والي بغداد حينذاك . وبالسبورة التي اهداه اياها بعض افاضل الموصل .

على ان الكتاب ينطوي على اخبار مهمة يندر وجودها في غيره . وعلى مقطوعات شعرية ، ورسائل ادبية لم اقف عليها في ما عداه . وهي تمثل لنا ناحية من نواحي الأدب في العصر الثالث عشر الهجري .

فمن امثلة الأخبار وصفه الطاعون الجارف الذي منيت به بغداد في زمانه فأباد معظم اهلها .

وإلى القارئ نصّ ذلك الوصف :

« ... حدثت حادثة الطاعون ، التي اجرت من العيون العيون ، واضرمت في القلوب نار الشجون ، حيث جرد الدهر إذ ذاك خيول النوائب . وسنّ مواضيه لقرع الكتائب . وانتهب الأعمار فيا له من ناهب . وانتشر جمع الثريا فعاد الرجال بنات نعش . وتتابعت أهوال لو داناها ابن الطود لانهشّ . حتى بلغ السيل الزبى . وتفرق الكرام ايدي سبا . وبلغ الشظاظ الوركين . وجاوز الحزام الطبيين .

مصائب لو حلت بأكناف يذبل   تدكدك ، او بالبحر اصبح غائضا

وذلك في السنة السادسة والأربعين ، بعد المائتين وألف هـ وكان الطعن حينئذ خفيفاً خفياً جداً ثم كثر في شوال لخمس خلون منه . فلم يبق للخلائق حينئذ رشداً . ولكنهم بعدُ بين مكذب ومصدق ، وآمن ومرتعب ، ثم انتشر وتحققه الناس آخر الشهر ، ففر غالبهم الى كل قطر . وزادت في تلك السنة دجلة زيادة لم تقع سابقاً في غير الطوفان . وتهدمت بسببها البيوت والجدران . وكسرت السداد ، واحاط الماء ببغداد . ومن كثرة المياه في جوانب البلد ، واحتضانه اياها كالوالد العطوف للولد ، صار الرائي لا يرى غير الماء او السماء ، ولم يرج غير هجوم البلاء . ووقع

السور ، وتهدم من الجانبين نحو خمسة آلاف بل اكثر من الدور ، وبلغ حد من مات في كل يوم من ايام هذا الطاعون عشرة آلاف ٠ او اكثر ظناً وتخميناً ، والا فقد فُقد المحصون ، ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملئوها ٠ فلما كثر الموت جداً تركوا دفنها وملوها ٠ فبقي الأموات مطروحين في الاسواق والطرقات ٠ ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب ٠ ومقاساة المحن والنوائب ٠ ما يشيب النواصي ، ويزيل الروامي ٠ وبعد ان هان الأمر في الجملة ، ألقيتْ الموتى في دجلة يُجرّون من ارجلهم ويُخرجون اهون ما يكون من منازلهم وكثير منه تنفصل رجله عند ذلك الجر ، ثم تلقى اوصاله المنفرقة في لجة ذلك البحر وذهبت اموال العالم بين الهدم والسرق والغرق والحرق ٠ والحاصل انه اعترى بغداد وساكنيها في ذلك الطاعون ، من مزيد الانكاد والشجون ، ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ٠ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فانا لله وانا اليه راجعون ٠ واستقام الأمر على تلك الحجة ، الى اول ذي الحجة ٠ فهان جداً ، بعد ان اهان حراً وعبداً ٠ فالحمد لله تعالى والفضل له على ما قضاه على خلقه وانزله ٠٠٠ »

وهذا الوصف يدلك على أسلوب المؤلف في إنشاء كتابه الذي لايخرج أكثره عن هذا النمط : من الأساجيع المرصوصة ، والعبارات المرصوفة ، التي لا تخلو من التكرار الممل والتنطع الذي لا طائل تحته ٠

والى القارئ رسالة من إنشاء الشيخ محمد أمين المعروف بابن عابدين ، صاحب « رد المحتار على الدر المختار » المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ — بعث بها إلى الشهاب الألومي جواباً عن رسالة كان الألومي قد كتبها اليه يطلب منه نسخة من حاشيته على الدر المختار ، ننقلها برمتها ليطلع القارئ الكريم على أسلوب علماء ذلك الزمان في مراسلاتهم الخاصة ٠ وهو أسلوب تغلب عليه الصناعة البديعية ولا سيما الاسجاع والتوريات والجناس والطباق وما اليها ٠ واليك الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن اوصل تحفة المطالب وبدائع صنائعها لطالب الرغائب وانعم بهداية

المعقول وعناية الوصول ، الى معراج الدراية بغاية البيان . ونيل المواهب من منن الرحمن . فظهر بفتح القدير على العاجز الفقير رد المحتار ، لتنوير الأبصار واستخراج الدرّ المختار ، من البحر الرائق ، وبتبيين الحقائق من كنز الدقائق . وكشف خزائن الأسرار مُحلى بدرر البحار . وغرر الأفكار بيمن ادلال من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى في المشهد الأعلى . والمعهد الأغلى صلى الله عليه صلاةً كان لها اهلاً وسلم سلاماً هو به أولي . وعلى آله معدن كل كرم وجود ، واصحابه الذين اعتز بهم الوجود ما سلّت السحائب صوارم بروقها فوق رؤوس الأشجار وكست النسائم بزَرَد خفوقها متون الأنهار .

وبعدُ ، فأهدي سلاماً يهزأ بفتيت المسك الأذفر ، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر ، الى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ احد في حلبات السبق بلاغهُ ، مجمع البحرين وملتقى النيرين ، خلاصة اهل التنقيح والتوضيح ومغني اللبيب عن التصريح ، بالتلويح ، البحر العباب ، والحاوي لمنهج الصواب . روضة الآداب ، وبهجة الآراب ، سيدي الامام الأوحد ، والعلم المفرد ، محمود الأفعال ، ممدوح الأقوال ، لا زالت رماح اقلامه تأسر كل معنى انيق ، فتحرر كل لفظ رقيق ، وعساكر افهامه تجول في مهامه كل عويص ، وتيار كل غويص ، لتكسر جيوش المشكلات ، وتفتح حصون الخفيات ، ولا برحت اقلام الفتيا مورقة ببنــانه مثمرة بكل حكم صحيح يجنى ببيانه هذا وقد ورد الكتاب ياقوتي المباني . جوهري الألفاظ والمعاني . فلله در انامل ذرت عنبر مداده . على صفحات قرطاسه ودرُّ فطنة أطلعت من مشكاة بلاغتها نور نبراسه . ففي مختصره مطول المدح وفي تلخيصه ما يغني عن الحاشية والشرح حيث اشتمل على صفات منشيه الباهرة . لكنه رآها في غيرها ظاهرة . وقد أنبأ عن تشوّف جنابه السامي ، وتشوق فضله النامي . إلى استكتاب الحاشية التي هي قطرة من بحره . لتنال شرفًا برفعة قدره وأنى لها بكفء كريم مثله تزف اليه ، ويخاطب جليل تعرض لديه بين يديه فهي مقيمة في الخدْر تنتظر صدور الأمر فتخرج من حجابها ، وتكشف عن نقابها وتفتخر على أترابها وتتباهى

على طلابها . وتحمد مولاها على ما أولاها ، والسلام الذي تأرجت نفحاته ، تعم ساحتكم ورحمة الله وبركاته . »

وهاك مثالاً من التهنئات التي كان يتلقاها أبو الثناء من شعراء عصره وأدباء مصره في المناسبات المختلفة .

كتب اليه الشيخ أمين العمري مهنئاً اياه بانشاء مكتبة في داره :

تأمل هذه أم الكتاب بدت للعين مسفرة النقاب

أعد نظراً الى معنى حلاها ففيها منتهى العجب العجاب

ولا ترنو لغانية سواهـا فما حسن الغواني والكعاب

حوت في طيها روح المعاني لتنشر كل معنى مستطاب

وقد اثبت السيد نعمان — في الجزء الثاني — ما جدّ من الأحداث في السنين الثماني التي تلت وفاة الشواف ، وأعاد الكثير من الفصول التي أوردهـا في الجزء الأول مضيفاً اليها ما أهمله وباسطاً ما أجمله فأعاد ذكر النسب مبسوطاً وتوسع في ذكر المكاتبات التي دارت بين والده وبين علماء عصره — كما توسع في ذكر الاجازات التي أجازه بها بعض الأشياخ ، وذكر ثبتاً كاملاً بمؤلفاته ، وأضاف الى كل ذلك انتقاله الى جوار ربه والمراثي التي رثاه بها شعراء عصره وهي كثيرة واسلوبها تقليدي بحت .

وعلى الجملة فإن هذا الكتاب بجزأيه هو أشبه بمجموع منه بكتاب مرتب الأبواب منسق الفصول ، على انه مجموع مشتمل على كثير من المنثور والمنظوم الذي يندر وجوده في غيره ويصلح أن يكون صورة واضحة للحالة الأدبية في مدينة السلام في العصر الثالث عشر الهجري ، ولا يستغني مؤرخو الأدب العربي لهذا العصر عن الرجوع الى أمثاله .

وقد استخلص السيد نعمان خير الدين نجل الشهاب الألومي — عليه الرحمة — الزُبدة منه وأودعها صدر الطبعة الأولى من روح المعاني .

(بغداد) طه الراوي

شمس الدين ابن الجزري وتاريخه

(حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه)

قال الشاعر :

لولا جرير والفرزدق لم يكن ذكر جميل من بني مروان

وملوك غسان تفانوا غيرما قد قاله حسان في غسان

وأقول : لولا التاريخ لطويت أعمالنا في هذه الحياة ، وزالت مآثرنا ، ولعدنا نلتمس الآثار الصامتة ، فلا نتبين الا علاقة ضئيلة ، نستنطق بها جماداً لايبوح بما في نفوسنا ، ولا يعرب عن مكنونات مسرّتنا . فالاشارة لا تميط اللثام عن عقائدنا ومجتمعنا وآدابنا ، ودرجة ارتباطنا بالحوادث . فلولاه لتقوّل كثيرون بما شاؤا . وجلُّ ماهنالك أننا نتطلب من التاريخ أن لا يميل مع الأهواء بل يدوّن الحوادث كما هي ، فلا يحل الألغاز أو الطلاسم المغلقة بل يعين ميول الحياة واضطرابها ، وما أصابها من تهيج ، فنلتمس بغيتنا منه . وكفاه مكانة انه يدوّن ما نعمل ، فيقوم بمهمة المصور ، فكان موضع اهتمام الأكابر والأصاغر وبه نستوحي جلية الماضي .

وان قومنا انجبوا مؤرخين أعاظم ، ساروا بهذا التاريخ خير سيرة في تصوير الحياة . ومن مشاهيرهم مترجمنا . كان عظيماً في تاريخه صارماً في لهجته ، عدلاً في بيانه ولا يهمه ان اغفلت الأيام ذكره مدّة ،

١ — حياته :

هو العدل شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابراهيم الدمشقي ، اشتهر بين مؤرخي الشام المعروفين اشتهاراً فائقاً ، وعرف بالتاريخ . وقد سبق ان ترجمته في مجلة (العالم الاسلامي) البغدادية . وقد اثنى عليه العلماء ، واطروه إطراءاً زائداً ، واخص بالذكر منهم البرزالي ، فانه كتب ترجمته بقلمه ، وعين مكانته العلمية والتاريخية ، وجاءت في آخر تاريخ ابن الجزري . وهذا نصّ ترجمته :

« هو الشيخ العالم ، الصدر ، العدل ، الرضى الكبير . شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ العدل الصالح مجد الدين ابي اسحاق ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم ابن عبد العزيز الجزري ثم الدمشقي . توفي ليلة الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ٧٣٩ هـ بجنينة التهم[١] ظاهر دمشق ، وصلي عليه صلاة يوم الاثنين ؟ بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، ومولده يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ بدمشق ، وكان من خيار النـاس ، كثير المروءة ، مواظباً على الذكر والدعاء والتلاوة ، والأعمال الصالحة ، وكان من كبار العدول ، قام يشهد على الحكام مدة تقارب ستين سنة ، وكان اذا انفرد بشهادة اذن له الحكام في الاعلام بها ، ويكتفون بأخباره لوثوقهم به ، وطلب منه ان يشهد في قيم الأملاك لخبرته وديانته فامتنع من ذلك ، وتورع عنه ، ولم يدخل في ولاية ولا وظيفة . وسمع الحديث من جماعة منهم فخر الدين ابن البخاري ، وتقي الدين بن الواسطي ، وعز الدين الفاروثي ، وغيرهم من شيوخ دمشق ، ودخل القاهرة والاسكندرية وسمع من المشايخ شرف الدين الدمياطي ، وشهاب الدين الأبرقوهي ، والشريف تاج الدين العراقي ، وغيرهم من شيوخ الديار المصرية . وروى عنهم وحدث وسمع من الطلبة ، وكتب في الأحاديث . وكان محباً لفن التاريخ . جمع هذا الكتاب (اشار اليه والترجمة كتبت في آخره) وتعب عليه ، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في تاريخ غيره . وحج الى بيت الله الحرام . وكان كثير البر والتصدق ، وعليه رسوم لجماعة من الفقراء . وفيه مودة كثيرة ونصح وشفقة على خلق الله عز وجل في قضاء حاجة من يقصده . وكان يتولى خدمة اهله وبيته بنفسه ، ويقصد راحتهم ، ومصلحتهم ، وكبرت سنه وهو على هذا الحال . وكان باراً بأولاده وأهله ومات والده وترك عنده اخوة صغاراً فربّاهم وأحسن اليهم ، وقام بأمرهم أتمّ قيام برفق وإحسان وتواضع وكلمة طيبة . ثم نشأ له أولاد ففعل بهم مثل ذلك . وكان له اعتقاد عظيم في الفقراء والصلحاء ، وله منهم نصيب وافر . وكان لا يفتر من ذكر الله عز وجل قاعداً وقائماً وماشياً . وكان عنده معرفة بقطعة

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب السهم (المجمع)

جيدة من الطب والأدوية والمنافع . يزور المرضى ويصف لهم ما ينفعهم ، ويشفق عليهم ويعدهم ويدعو لهم ، ويتضرع الى الله تعالى ، ويجهد في الدعاء لمن دعوا له بنصح وشفقة ، واذا مات ميت ممن يعرفه حضر جنازته ، وان لم يتفق له الحضور مشى الى قبره وصلى عليه ، وتلا على قبره ما يسر الله تعالى من القرآن العظيم ، ودعا له . وقد كتب أخبار الوفاة صلة لأجل ذلك . وله محاسن كثيرة وسير جميلة . رحمه الله وغفر له بمنه وكرمه . » اه

وهذه الترجمة كافية لمعرفة ابن الجزري وفيها من السعة ما ليس في غيرها . وفيها تصحيح لما جاء في (الدرر الكامنة فقد ذكر انه جمع تاريخاً مشهوراً ، ونقل عن الذهبي انه كان حسن المذاكرة ، سليم الباطن ، صدوقاً في نفسه . لكن في تاريخه عجائب وغرائب[1]) ... اه .

ولم يعين وجه الغرابة ولا ما دعاه الى التعجب ، والبرزالي أعرف به ، وهو مرجع مؤرخين كثيرين ، ورأيته ينقل عن أكابر علماء بغداد وأفاضلها ، وقال في الشذرت : « جمع تاريخاً كبيراً ، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في غيره . » اه[2]

وجاءت ترجمته في تواريخ عديدة منها (التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ)[3] . وقال ابن كثير :

« .. محمد بن ابراهيم الجوزي (صوابها الجزري) . جمع تاريخاً حافلاً كتب فيه اشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي : يكتبون عنه ، ويعتمدون على نقله . وكان شيخاً قد جاوز الثمانين وثقل سمعه ، وضعف خطه . وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد واخوه مجد الدين . »[4] اه

وذكرت ترجمته باختصار في ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٣٢ . وفي العبر للذهبي : « — في سنة ٧٣٩ هـ مات شمس الدين — الجزري الدمشقي صاحب التاريخ الكبير في وسط السنة وله ٨١ سنة ، وله دين . وكان ساكناً وقوراً . » اه

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠١ . (٢) الشذرات ج ٦ ص ١٢٢ . (٣) التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ ص ٩ . (٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٦ .

٢ — مؤلفاته :

جاء انه كتب في الحديث ... وكان محباً لفن التاريخ .. ولا يعرف له غير تاريخه .. وكثرة المؤلفات لا تدل على قدرة ، وكان يظهر علمه ، ومقدار تتبعه في تاريخه ..

٣ — تاريخه :

وهذا يسمى (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) على ما قاله الحافظ الشمس ابن طولون حيث نقل عنه في المجلد الأول من الفهرست الأوسط له . قال ابن حجر : جمع تاريخاً مشهوراً وله شعر وسط ، وخرج له البرزالي مشيخة ... والقطب اليونيني كثير النقل عن تاريخه في ذيله على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . [هامش ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٢٢ ..] وهو الذي يستحق التدقيق . ونسبته دائرة المعارف الاسلامية للبرزالي غلطاً .. وهو من مؤلفاته . ومنه نسخة مخطوطة في خزانة كوپريلي ، وكان منشأ التوهم من مرتب فهرس هذه الخزانة ، فوقع في ذلك بروكلمان المستشرق المعروف ، وقبله كان قد وقع صاحب تاريخ (التين اردو) ، فانه جعل تاريخ البرزالي احد مراجعه في (تاريخ المغول في روسية) ، ويقصد به تاريخ ابن الجزري . وطبع هذا الكتاب مترجماً الى التركية من الأستاذ الجليل اسماعيل حقي الازميري سنة ١٩٤١ م وقد سبق ان وصفته في محيط المعارف الاسلامية التركية وصفاً مسهباً .

راجعت فهرس الخزانة فأحببت الاطلاع على هذه النسخة التي ذكرت باسم البرزالي المؤرخ لما له من المكانة المعتبرة ، فوجدتها تبتدئ من سنة ٧٢٦ هـ وتنتهي بسنة ٧٣٨ هـ ، وهي قديمة منقولة من نسخة المؤلف بخط عبد الله بن احمد بن يوسف البيري أصلاً ، الدمشقي مولداً الشافعي مذهباً كتبها سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٣٨ م . ورقمها في خزانة الكوپريلي ١٠٣٧ .

وأول هذه النسخة « قال البرزالي .. » فأوهمت أنها له . وبعد مطالعتها لم يبق ريب في انهـا لابن الجزري ، وينقل احياناً كثيرة عن البرزالي ويصرح باسمه وهو القاسم بن محمـد البرزالي ، وكانت بينهما مودة وصحبة اكيدة ، وان البرزالي

— كما مرّ من إيراد ترجمته — له خبرة تامة بأحواله وما كان عليه من صلاح ونقوى ، ورغبة في التاريخ ، كما أن ابن الجزري ينقل عن البرزالي أحياناً ، ويقول : كلما أقول ذكر فهو من تعليق الشيخ الحافظ علم الدين البرزالي فسح الله في مدته .. لئلا يضيع تعبه .. » اهـ ، فلم يبق إشكال في انه للجزري .

وقال السخاوي : « للعدل .. ابن الجزري (تاريخ كبير) ، شهير بخطه في المحمودية ، فيه عجائب وغرائب » اهـ[1] . ولعل الأيام تكشف عن وجودها ..

٤ — أجزاء تاريخه :

وان التاريخ المذكور أعلاه مجلد واحد ولا شك أنه احد اجزائه ، والكتاب متعدد الأجزاء ، وكانت ولا تزال التدقيقات عنه ناقصة في الغرب والشرق الا ان سوق الغرب راج فيه العلم ، وصارت تجلب اليه كلّ بضاعة ، وعندنا وقفت الحركة العلمية . وان كنا أعرف بتاريخنا ، ولكننا اقتصرنا على مناقب الخلفاء والسلاطين ولم يعد احد يبالي بالنواحي العلمية والأدبية ، ولا بالثقافة العامة ، وتاريخ الأمة وما جاورها من أمم ..

قال المرحوم أحمد تيمور باشا في (كتاب اليزيدية) :

« وعندنا من تاريخ ابن الجزري جزء مصوَّر بالشمسي فيه من سنة ٦٨٩ هـ الى سنة ٦٩٩ هـ » اهـ .

وأما المجلد الذي عثرت عليه فهو من سنة ٧٢٦ هـ — الى سنة ٧٣٨ هـ كما مرّ . ومن ثمّ نرى النقص بادياً .. وفي هذا رأيته يتوسع في بعض الحوادث ، ويعد صفحة كاشفة عن أيام المغول في العراق وعن علماء بغداد ، ومنهم أبو الخير الدهلي العالم المعروف ..

وجاء في لغة العرب المجلد السابع منها جزء ٢ ص ١٨١ أن الاستاذ حبيب الزيات طبع جزءاً منه نقله من نسخة باريس ، طبعه بمطبعة المحامي في زحلة (لبنان) في ٤٢ بقطع الثمن . وسماه : (حوادث الزمان وأنبائه ، ووفيات الأعيان من أبنائه » لشمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري الدمشقي ...

ولا شك أن الأيام ستجلو عن باقي اجزائه ..

(١) الاعلان بالتوبيخ ص ١٤٨ .

٥ — المختار من تاريخ الجزري :

ثم اني عثرت أيضاً على نسخة مخطوطة من كتاب (المختار من تاريخ الجزري) . وهي من اختيار الذهبي ، وبخطه ، وعندي نسختها المصورة ، وفيها نصوص مهمة عظيمة الفائدة لا يستغنى عنها . وهذا المختار أصله في خزانة الكوپريلي برقم ١١٤٧ قال الذهبي : وهذه نبذة فوائد من تاريخ المولى شمس الدين . وتبتدئ من بقية سنة ٥٩٣ هـ ، وامتدت ، فوقفت عند سنة ٦٩٨ هـ ، جعله كالتتمة لما نقح من المذيل على الروضتين ..

٦ — وصف العنب في تاريخ ابن الجزري :

قال المؤلف

« اتفق ان الشيخ الفلاني من مشايخ حماة — أنسيت اسمه — سافر من حماة الى دمشق ، أقام بها مدة وعاد ، فسأله أصحابه عنها فقال :

— رأيت أهلها كأنهم فرغوا من الحساب ، وتسيبوا في الجنة ، يأكلون ويشربون ، ويسرحون فيها .

وكان ابن عنين قد نفاه السلطان صلاح الدين وعاد الى دمشق زمن العادل فكان قد وصل الى (خان بالق) ، ومنه الى الهند واليمن ، ووصل الى مصر ، ومنها الى دمشق سأله المعظم عن عجائب ما رآه في البلاد التي سافر اليها فقال :

كل ما في الدنيا مفرق هو في بلدك مجموع موجود ، ويفضل عليهم بالأحمرين والأبيضين قال وما هما ؟ قال :

العنب الداراني ، والعنب العاصمي ، والأبيضين القنبريس والثلج . ونظم في غربته هذين البيتين وهما :

وقائل ان في الأسفـار فائدة يوسعن في الرزق ذا مال وذا خلق

وقدمضيت الى أقصى الذي كفروا(؟) وجئت أرعن والشلاّق في عنقى

تتمة أخبار الأعناب

وجاء في هامش التاريخ تحت العنوان المذكور وأظنه من الأصل :

« وأول ما أدخل الى دمشق (العنب الداراني) . وهو أحمر اللون ، مدوّر ، حلو ، شبه السكر ، يبقى دور شهر وحده . ثم يتبعه (البرزي) . ابيض ، اصابعي ومدور . ويتبعهما بقية الأعناب خمسة ألوان أو ستة . وأمير العنب (العاصمي) ... وأبيض مدور يسمى (قصيفا) حلو كبار ، و (بيض الحمام) ... والزبيب نحو خمسة او ستة ألوان : الدربلي ، والجوازمي ، والأسود ، والصغار بلاحب ، وغير ذلك . » اه[1] .

وهناك تفصيلات في الاحصاء ، والبيع في مصر وبغداد لم أستوعب ذكرها بل وقفت عند هذا . والكتاب موجود .

ويطول بنا البحث في هذا الأثر الجليل ، وما احتوى من نفائس .. وكان غالب المؤرخين في عصره متصلين به فلا محل للاسترسال بأكثر من هذا .

وكل ما نقوله ان هذا العصر (الثامن الهجري) كان طافحاً بأعاظم المؤرخين مما خلد أجلّ الذكريات ، وأنفس الآثار . اكتفى بهذا الآن . والله وليّ الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي

---

(١) في نزهة الأنام ذكر العنب في ص ٢٢٣ طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ هـ

رسالة الطرق

- ٥ -

حرف الزاي

الزَّقَب الطريق • والزَّقَب الطرق الضيقة واحدتها زَقَبة وقيل الواحد والجمع سواء وطريق زَقَب ضيق قال ابو ذُؤيب :

وَمتلَف مثلِ فَرْق الرأس تخلُجه مَطارِب زَقَب أميالهـا فِيحُ [١]

زقب بدل من مطارب وهي الطرق الضيقة كما سيأتي ويروى زُقُب بالضم وسيأتي هذا البيت في مطربة وقال اللحيـاني طريقٌ زَقَب جعله صفة فزقب على هذا القول صفة لمطارب وان كان لفظه لفظ الواحد •

الزقاق كغراب السكة يذكر ويؤنث وقيل هو الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أم غير نافذ والجمع ازقة كغراب واغربة وزُقّان كحُوار وحوران قال هدبة بن خشرم العذري :

فلم ترعيني مثل سرب رأيتـه خرجن علينا من زقاق ابن واقف [٢]

وفي الحديث الشريف «من مَنَح مِنْحة ابن او هدى زُقاقاً» • الزقاق الطريق يريد من دل الضال أو الأعمى على طريقه وقيل أراد من تصدق بزُقاق من النخل وهي السكة منها • والأول اشبه لأن هدى من الهداية لا من الهدية •

الزَّقيلة كسفينة السكة الضيقة وكذلك يوصف به الطريق الضيق ويقال رجع على زَلَزِه أي الطريق الذي جاء منه •

الزَّنَقَة محركة السكة الضيقة وقال الليث هو ميل في جدار أو سكة او ناحية او عرقوب ولا يكون فيه التواء كالمدخل والالتواء اسم لذلك بلا فعل وقـال ابن عباد الزنقة في الأودية المضيق •

---

(١) المتلف القفر سمي بذلك لأنه يتلف سالكه في الأكثر كما سموا الصحراء بيداء لأنها تبيد سالكها • وتخلجه : تجذبه هذه الطرق الى هذه وهذه الى هذه والزَّقَب الضيقة ومثل فرق الرأس في ضيقه والميل المسافة من العلم الى العلم وفيح واسعة • (٢) السرب هنا القطيع من النساء وزقاق ابن واقف بالمدينة وبقية الأبيات في معجم البلدان •

الزّهوق كصبور فج الجبل ٠
ويقال طريق أزْوَر أي معوج ٠
زاغ عن الطريق يزوغ زَوْغًا وزيغًا عدل والياء أفصح
زاغ عن الطريق يزيغ زَيغًا عدل وأزاغه عن الطريق أماله ٠

حرف السين المهملة

المسبأ كمقعد الطريق في الجبل
أَسابيّ الطريق شركه وفي لسان العرب شوكه والأول اصح جمع إسباءة والأَسابيّ الطرق من الدم وأسابي الدماء طرائقها الواحدة أُسبيَّة أو إسباءة قال سلامة بن جندل يذكر الخيل :

والعاديات أسابيُّ الدماء بها كأنَّ أعناقها أنصابُ ترجيب [1]

ويروى اسابيُّ الديات ٠ وقوله انصاب يحتمل ان يريد به جمع النصب الذي كانوا يعبدونه ويرجبون له العتائر ويحتمل ان يريد به ما نصب من العود والنخلة الرُجبيَّة
ويقال استبق الصراط اي جاوزه وتركه حتى ضل
السبيل كأمير الطريق وما وضح منه وقيل الطريق الذي فيه سهولة يذكر ويؤنث كالطريق فتقول سبيل أعظم وسبيل عظمى كما تقول طريق اعظم وطريق عظمى والتأنيث فيهما اغلب وقد جاء في القرآن الكريم مؤنثًا في قوله تعالى : «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة» ٠ عبر به عن المحجة

(١) عدت الفرس تعدو أحضرت فهي عادية ويقال للخيل المغيرة عادية وأسابيّ الدماء طرائقها وانصاب جمع نصب كعنق وهو حجر كان ينصب ويعبد من دون الله وقال ابن سيدة الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله والترجيب التعظيم ومنه ذبح النسائك في رجب ٠ والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها ببناء تحتها أو أن تعمد بخشبة ذات شعبتين لئلا تتكسر أغصانها ورجب النخلة ونخلة رُجَبية بني تحتها رُجبة ويحتمل هذا البيت أن يكون شبه أعناق الخيل بالنخل المرجب وأن يكون شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك وقال أبو عبيد يفسر هذا البيت تفسيران أحدهما أن يكون شبه انتصاب أعناقها بجدار ترجيب النخل والآخر أن يكون أراد الدماء التي تراق في رجب وظاهر البيت يدل على أنه يريد تشبيه أعناقها بالأنصاب التي يذبح عليها في كثرة الدماء على نحو ما قاله زهير في وصف الصقر الذي تبع القطاة :

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمّى رأسه النسك

المنصب الحجر الذي يعتر عليه أي يذبح في رجب شبه الصقر بالمنصب المدمى لكثرة ما يصيد ٠

وجاء مذكراً في قوله تعالى : « وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا »
وبهذا يتبين لك ان قول عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في كتابه (الألفاظ الكتابية) ص ٢١ الطريق يذكر ويؤنث والسبيل مؤنثة على كل حال . غير صحيح والجمع سُبُل . وجمع القلة للسبيل اذا ذكرت أسبلة كرغيف وارغفة واذا أنثت أسبُل . وفي حديث سمرة فإذا الأرض عند أسبُله أي طرقه والسابلة من الطرق المسلوكة يقال سبيل سابلة اي مسلوكة والسابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم جمع سابل وهو السالك على السبيل ويجمع أيضاً على سوابل . واسبلت الطريق كثرت سابلتها . وابن السبيل ابن الطريق المسافر الكثير السفر سمي ابناً لها لملازمته اياها وقيل هو الذي قطع عليه الطريق ويريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به وابن السبيل الغريب الذي اتى به الطريق قال الراعي :

على أكوارهن بنو سبيل قليل نومهم إلا غرارا [1]

وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب الى الله تعالى باداء الفرائض والنوافل وانواع التطوع واذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه

وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبل الله اي من الطرق الى الله وكل سبيل اريد به الله تعالى وهو بر فهو داخل في سبيل الله .

المساتل : الطرق الضيقة لأن الناس يتساتلون فيها اي يتتابعون واحداً بعد واحد . واحدها مَستَل كمقعد

السجح بجيم بعدها حاء . وبضم السين وسكون الجيم وبضمها . سجح الطريق محجته اسهولتها . ويقال خل له عن سُجح الطريق اي وسطه وسَننه وبنوا بيوتهم على سُجح واحد وسُجحة واحدة أي قدر واحد ويقال من طلب بالحق ومشى في سجحه أوصله الله الى نجحه

وفي تهذيب الألفاظ يقال تنح عن سَنن الطريق وسُنُن الطريق وسُننه وسُجحه وسُجُحه ولَقمه ولَمَقه وكثمه وثكمه وميدائه ودَرَره ومعناه عن متن الطريق .

(١) أكوار جمع كور وهو الرحل بأداته والغرار ككتاب القليل من النوم .

المُسْحَنْفِر الطريق المستقيم واسحنفر الطريق استقام

السُّدُّ الحاجز جمعه اسداد : ويقال ضربت عليه الأرض بالأسداد جمع سُد أي سُدَّت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه والسُّدّ ذهاب البصر وهو منه قال الأسود بن يعفر النهشلي :

ومن الحوادث لا اباالك أنني ضربت عليَّ الأرض بالأسداد

وفلان مُسدَّد ملازم للطريق المستقيم وفي صفة متعلم القرآن يغفر لأبويه اذا كانا مسددين أي لازمي الطريقة المستقيمة

السرب بفتح السين وكسرها مع سكون الراء فيهما الطريق قال ذو الرمة يصف الحمار والأتن :

خَلى لها سرب اولاها وهيجها من خلفها لاحق الصقلين هِمهيم [٢]

قال شمر اكثر الرواية بالفتح والسرب بفتحين الطريق والمسلك في خفية وطريق مسرب يتتابع الناس فيه قال أبو خراش :

طريقها مَسرَب بالناس دُعبوب

وتسربوا فيه تتابعوا والسُّربة المذهب والطريقة وكل طريقة سربة

السراط ككتاب السبيل الواضح وإنما سمي بذلك لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط • أو كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم لاحبه ويقال بالزاي والصاد • والصاد أعلى وان كانت السين هي الأصل لمكان المضارعة وفي البيضاوي والسراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الاطباق وفي المخصص فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم الزراط بالزاي المخلصة فخطأ انما سمع به المضارعة فتوهمها زاياً • وحكى قطرب الصراد بالدال المهملة على المضارعة أيضاً

مَسرَاة الطريق متنه ومعظمه والجمع مَسرَوات ومنه الحديث : « ليس للنساء سروات الطريق أي لا يتوسطنها ولكن يمشين في الجوانب »

وطريق واضح السفاسق وهي الآثار قال :

(١) خلى ترك • هيجها أثارها • الصقل الخاصرة ولاحق الصقلين ضامر ويقال حمار هِمهيم بكسر الهاءين وسكون الميم بينهما يهمهم في صوته أي يردد النهيق في صوته •

اذا الطريق وضحت سفاسقه ولم ينم حتى الصباح واسقه

واسقه الذي يريد أن يجمع سير ليله

السَيْعَل الطريق كذا ذكره في جواهر الألفاظ ولم أجده لغيره ولعله محرف عن سَغبل يقال شيء سغبل أي يسير

ويقال سافهت الناقة الطريق اذا خفت في سيرها قال :

أحدو مطيات وقوما نُعَّسا مسافهات مُعْمَلا مُوعَّسا(١)

وفي الأساس والناقة تسافه الطريق اذا أقبلت عليه بسير شديد

السّكّة الطريق المستوي قال الشماخ :

حنَّت على سكة الساري فجاوبها حمامة من حمام ذات اطواق(٢)

أي على طريق الساري وبه سميت سكك البريد قال الفرزدق :

فما رد السلام شيوخ قوم مررت بهم على سكك البريد

والسكة الزقاق وقيل هي أوسع من الزقاق سميت بذلك لاصطفاف الدور فيها على التشبيه بالسكة من النخل وهي السطر المصطف • وطريق سُلكٌ ضيق منسد والسّكاكة مشددة أبناء السبيل

الأُسلوب الطريق المستوي قيل ومنه أخذ في اساليب القول أي ضروب منه والحق ان الأُسلوب بمعنى الفن ومنه أخذ فلان في أساليب من القول اي افانين منه

والأُسلوب الطريق تأخذ فيه • والطريق والوجه والمذهب يقال أنتم في أسلوب سوء وكل طريق ممتد فهو أسلوب وجمعه أساليب •

المُسلَحِبّ الطريق البين الممتد وطريق مسلحب ممتد والمسلحب المستقيم مثل المتلئب

المسلوعة: الطريق لأنهامشقوقة والسَلْم الشق في الجلد والرأس والجبل وغيره قال مليح

(١) أحدوا : اسوق نعسا جمع ناعس وأراد بالمعمل الوعس الطريق الوطوء (٢) حنت • حنين الناقة صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها وحنينها نزاعها الى ولدها من غير صوت • الساري السائر ليلاً والماضي والأصل في الجواب رد الكلام والمجاوبة المحاورة والمراد هنا ان الحمامة ناحت لما سمعت حنين الناقة فكأنها جاوبتها وأطواق جمع طوق وهو في الأصل ما استدار بالشيء وحمامة مطوقة في عنقها طوق •

وهن على مسلوعة زيم الحصي   تنير وتغشاها هما ليج طُلَّح [١]

ودليل مِسلَعَ يشق الفلاة

السَّايف كأمير الطريق

السَّايقة كسفينة تأثير الاقدام والحوافر في الطريق وتلك الآثار تسمى السلائق

والسليق من الطريق جانبه وهما سليقان . والسَّلق الواسع من الطرقات والسليقة المحجة الظاهرة

المسلك : الطريق والجمع مسالك . سلك الطريق كقعد ذهب فيه ويتعدى بنفسه فيقال سلكت زيدا الطريق وبالباء فيقال سلكت به الطريق وبالهمزة فيقال أسلكت فلاناً الطريق وأسلكته عليه قال ساعدة بن العجلان

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم   على شماء مهواهـا بعيد [٢]

ويقال اسلكته فيه قال عبد مناف بن ربع الهذلي :

حتى اذا اسلكوهم في قُتائدة   شلاً كما تطرُد الجمّالة الشُرُدا [٣]

ويقال طريق مسلوك :

السَمْت الطريق يقال الزم هذا السمت قال خطام المجاشعي :

ومَهْمَهين قَذَفين مَرْتين   قطعته بالسمت لا بالسَمْتين [٤]

(١) مسلوعة طريق زيم متفرق تنير تضيء وتتضح تغشاها تأتيها أو تعلوها والهماليج جمع هملاج كمفتاح البرذون . والحسن السير في سرعة وبختره الذكر والأنثى سواء والطلح الاعياء والسقوط من السفر وقال أبو زيد اذا أضمره الكلال والاعياء قيل طلح كمنع وابل طُلّح هزلها السير وجهدها .

(٢) شماء مرتفعة والمهوى ما بين الجبلين ونحو ذلك . واسم مكان من هوى إذا هبط أو سقط .

(٣) أي أسلكوهم في طريق في قتائدة وهي ثنية معروفة أو عقبة والشل الطرد والجمالة أصحاب الجمال والشرد بضمتين جمع شرود وهو النافر ويروى الشردا بفتحتين جمع شارد كخدم وخادم . وجواب إذا في البيت محذوف دل عليه قوله شلا كأنه قال شلوهم شلا .

(٤) المهمه المفازة البعيدة أو الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس . قذف بعيدة ومَرْت لا نبات فيها وقيل المرت الأرض التي لا كلأ بها وان مطرت هكذا رواها في اللسان في سمت وقال معناه قطعته على طريق واحد لا على طريقين . وقال : قطعته ولم يقل قطعتها لأنه عنى البلد وروى في مرت هكذا.

(ومهمهين قذفين مرتين   ظهراهما مثل ظهور الترسين   جبتهما بالنعت لا بالنعتين)

جبتهما قطعتهما والنعت الفرس الذي يكون غاية في العتق .

وسمت الطريق قصده ومحجته

والسمت السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق

قال الشاعر: ليس بها ربعٌ لسمت السامت

وفي نسخة بها زَبْنغ

° وَطريق مُسمَدِرٌ طويل مستقيم

سِماط الطريق جانبه يقال خذوا في سماطي الطريق أي جانبه

ويقال خل عن سُنح الطريق وسُجْحه أي وسطه ومتنه

السنيعة كسفينة الطريقة في الجبل جمعها سنائع

السُّلك المحاج اللينة كذا في اللسان وفي القاموس البينة قال الشارح وهكذا في العباب •

سَنن الطريق وسُننه وسِنَنه وسُنُنه نهجه ويقال خدعك سنن الطريق وسُنَّته

وترك فلان لك سنن الطريق بتثليث السين أي جهته ومتنه والسُّنَّة الطريق المستوي

وفي نظام الغريب السنة والسنن والمسننّ الطريق •

قال شمر السنة في الأصل سنة الطريق وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم وسن فلان طريقاً من الخير يسنه اذا ابتدأ امراً من البر لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه وهو سنين • وسن الله للناس سُنة أي بين طريقاً • وسنّ الطريق سَنّاً وسنناً فالسنّ المصدر والسنن الاسم بمعنى المسنون ويقال سَنن الطريق وسُننه محجته •

والمستسنّ بكسر السين الثانية وفتحها الطريق المسلوك والمسنسن بفتح السين الثانية وكسرها الطريق المسلوك • وفي التهذيب طريق يسلك •

ويقال طريق مسور فيه والقياس مسير

ويقال خذوا في هذا السوط وهو طريق دقيق بين شرفين وفي هذه السياط والأسواط ويروى بالشين أيضاً وهو مجاز •

المُسَبّح كمعظم من الطريق المبين شَرَكه وانما سيحه كثرة شركه شبه بالقباء المسيح وهو الذي فيه جدد واحدة بيضاء وأخرى ليست بشديدة السواد •

محمد سليم الجندي

مخطوطات ومطبوعات

(رسالة الملائكة . أوج التحري . تعريف القدماء)

أرأيت السيل بعد مضيه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعاً مرعاً للمنتجعين ونُزُلاً كريماً للمجدبين كذلك المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري فإنه ترك فينا بعد انقضائه آثاراً أدبية لابي العلاء وفي ابي العلاء وعن ابي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها ولا تنتهي عجائبها .

ومن أنفس تلك الآثار وأعلاها قيمة الثلاثة التي عنونّا بهـا الكلام : مصنف أصدره المجمع العلمي القائم بالمهرجان . وآخر أصدره المعهد الافرنسي بدمشق وثالث أصدرته وزارة المعارف المصرية .

(رسالة الملائكة) ظفر بها المجمع العلمي في بعض مكتبات دمشق القديمة واتفق موعد مهرجان ابي العلاء فرأى ان ينشرها على الجمهور بهذه المناسبة فعهد الى احد اعضائه الأستاذ سليم الجندي بتصحيحها والتعليق عليها ففعل وطبعها المجمع على نفقته في مطبعة الترقي بدمشق فبلغت مع فهارسها ٣٠٠ صفحة بالقطع المتوسط غير ان العجلة في تصحيحها وطبعها ومبادرة أيام المهرجان بإصدارها وتوزيعها أوقع فيها ما كان ينبغي ان لا يقع وهذا ما اعتذر عنه مصححها الفاضل بقوله في المقدمة القيمة التي صدرها بها : (وقد تألب عليّ في هذا العمل ضيق الوقت الذي حدد لانجازه وفقدان مرجع ألجأ اليه للمقابلة والتصحيح وانفرادي بالعمل وكثرة اعمالي الخاصة فاضطررت الى الايجاز في بعض المواطن وإلى إهمال القول في بعض آخر وإلى إغفال تراجم بعض الرجال وربما تكرر القول في غير موضع ولم تسلم الرسالة من الهفوات التي تقتضيها العجلة اهـ) ثم وقع في طبعها أغلاط كثيرة تتبعها المصحح الفاضل ونظم بها جدولاً بلغ نحواً من ثلاثة عشر عموداً فكان في هذا الجدول سد لحاجة الحريص وتوفية لرغبة المطالع . ومن أراد التوسع في معرفة أخبار رسالة الملائكة ومختلف اطوارها فليرجع الى مقدمتها المذكورة بقلم المصحح

والى مقال آخر كان كتبه هو عنها ونشره في مجلة المجمع (ص ٤٨ من الجزء [١ و ٢] من المجلد ١٩ . وفي ص ١٢٣ من الجزء [٣ و ٤ من المجلد المذكور] . وأراني مسوقاً الى التعليق على هذه الرسالة بما يأتي :

ان عشاق الكتب المتتبعين لنوادرها كانوا ظفروا من هذه الرسالة بنسخ طبعوها ونشروها في الشرق والغرب باسم (رسالة الملائكة) مع ان ما طبعوه ونشروه انما هو مقدمة الرسالة لا الرسالة كلها . وذلك ان ابا القاسم علي بن محمد كتب الى ابي العلاء يستفتيه في مسائل في اللغة العربية وغريب كلماتها ومعظمها من علم الصرف تبلغ نحو ١٦ مسألة أجابه عنها في هذه الرسالة بعد ان قدم لها مقدمة لا علاقة لها بتلك المسائل لكنه اخترع لها موضوعاً آخر وافرغه في قالب حوار بينه وبين طائفة من الملائكة ويدور موضوع الحوار حول كلمات لغوية غير الكلمات التي سأله عنها ابو القاسم : فكأن النساخ او الأدباء منهم اذا ظفروا بالرسالة كلها اجتزأوا عنها بمقدمتها لما فيها من هذا الحوار الملائكي المبتدع . وهكذا وجد من مقدمة الرسالة عدة نسخ . وكادت تفنى او تفقد هي نفسها لو لا ما وفق اليه المجمع العلمي وأظفره القدر بها كلها أي بمقدمتها مع اسئلة ابي القاسم وجواب ابي العلاء عليها . غير ان الاسئلة نفسها قد فقد منها ثلاثة هي ١٤ و ١٥ و ١٦ وقد طبعت نسخة المجمع من دون هذه الأسئلة فعسى ان القدر الذي اسعفنا بالرسالة كلها لا يضن علينا بخاتمتها وقد فهم القارئ ان الرسالة سميت بالملائكة تسمية للكل باسم البعض وانها كلها حتى مقدمتها مغمورة بمباحث لفظية ودقائق في علم الصرف لغوية لا يتسع لها الا صدر المتعمق في علم اللغة وخاصة علم الصرف فمن سمع بهذه الرسالة يستهويه اسمها حتى اذا ظفر بها وتصفحها لم يسمع منها تسبيح ملائكة وانما سمع عزيفاً للجن سمع (اين الشظاظان) [يا أيها الخذوذان] [عجوز شهربة] [ناقة جلنفعة] [آثار سفعنة] [وقافون بالثفرنة] الخ الخ . أما شكل الحوار الذي وقع بين ابي العلاء والملائكة فهو ان ابا العلاء اراد ان يصور لسائله ابي القاسم نقصه وعجزه عن الجواب عن الأسئلة المذكورة فسما به خياله الى ان يقول ما ملخصه : انني كبرت

عن العمل وحانت وفاتي فهل أتوقع ان ادفع عني عزرائيل بتفسير ما استغلق من ألفاظ اللغة فأبادهه باللفظ الذي يدل عليه وهو (الملك) أيكون اصله ملأك او مألك الخ الخ فيعجبه قولي ويلهو عني هنيهة ثم يهم بي فأعود الى بحث بلباقة فيصغي إليّ حتى اذا استشهدت بشعر اعمر بن أبي ربيعة قال ومن ابن ابي ربيعة هذا ؟ وما هذه الأباطيل ؟ ان كان لك عمل صالح فأنت السعيد والا فاخسأ وراءك قال فأريد ان اشغله عني ببحث كلمة (عزرائيل) وما هو أصلها فيقول هيهات ليس الأمر إليّ : إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . ثم يقبض الملك روحه . فيرى نفسه في القبر بين يدي منكر ونكير فيبغتهما بالسؤال عن اشتقاق اسميهما فيقولان هات حجتك (يعني على عقيدة الاسلام) ودع الزخرف فتقرّبت اليهما بقولي : كان ينبغي ان تعرفا وزن جبريل وميكائيل . فلم يصغيا إليّ وازدادا غلظة وكأنه عاد فاستدرجهما حتى اعطيا رأياً في تصريف اسم (موسى) فقال لهما (لله انتما لم اكن أحسب ان الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام وتعرف احكام العربية) ثم خاف وقد أشارا اليه بالأرزبّة (وهي عصا من حديد) فقال لهما تثبّتا رحمكما الله كيف تصغران الأرزبّة قالا تصغيرها كذا وجمعها كذا . فإن قالا لي ما كذا أقول كذا . وقد تكرر النقاش بينه وبين منكر ونكير على هذه الصورة التي استغرقت نحو اربع صفحات مما يوهم ان هذين الملكين كانا على حصة موفورة من معرفة علم الصرف . ثم تخيّل ان القيامة قد قامت وانه على أبواب جهنم وانه تودّد الى مالك خازن النار فذكر له اختلاف العلماء في أصل معنى الزبانية واشتقاقها فعبّس مالك في وجهه . اما هو فلم يخجل ولم يرعو بل سأله رأيه في أصل كلمات (غسلين) و (جهنم) و (سقر) فضاق صدر [مالك] وقال له [ما أجهلك واقل تمييزك ما جلست انا ههنا للتصريف وانما جلست لعقاب الكفرة القاسطين] فانتقل الى مناقشة الملكين الآخرين وهما [السائق والشهيد] في مخاطبة الاثنين بضمير المفرد . ثم لما رأى نفسه واحداً استصحب معه جماعة من [خمّان الأدباء] أي سفلتهم وأراذلهم فوقفوا معه على باب الجنة وبدل ان ينادوا رضوان خازنها بقولهم

[يا رضوان] رخّموا فقال بعضهم [يا رضوَ] بفتح الواو وقال آخرون [يا رضوُ] بضمها . فاستنكر ذلك منهم فاعتذروا له بأنهم في دار الدنيا هكذا يتكلمون فسألهم ما حاجتهم قالوا توسّط لنا لدى أهل الجنة فنعلّمهم اشتقاق كلمات [كمثرى : سفرجل] [سندس] [طوبى] [الحور العين] [استبرق] و [عبقري] وقالوا له إن كان كبار أهل الجنة يعرفون هذا فان صغارهم وولدانهم يجهلونه فأدخلنا الجنة نعلمهم . فيبتسم رضوان ويقول [ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون] فانصرفوا رحمكم الله فقد اكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه وانما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية فذهبت مع الباطل . فيقولون إذن نادِ لنا بعض علمائنا الذين في الجنة نخاطبه في امر . قال ومن تريدون ؟ فيقولون الخليل بن احمد فيشرف عليهم الخليل . ويقول لهم ماذا تريدون قالوا تعليم ولدان الجنة علم العربية فيجيبهم بأن الله جعل من يسكن الجنة ناطقاً بلغة يعرب بن قحطان وانما افتقر الناس في الدنيا الى تعلم العربية لأن العربية الأولى أصابها تغيير أما الآن فقد رفع عن أهل الجنة كل الخطأ والوهم . فاذهبوا راشدين فيذهبون وهم مخفقون فيما طلبوه .

هذه خلاصة مقدمة رسالة الملائكة وقد استغرقت ٥٥ صفحة من الرسالة المطبوعة التي مجموع صفحاتها نحو ٣٠٠ صفحة كما قلنا وباقي الرسالة يتضمن الأجوبة على اسئلة ابي القاسم وكل مباحثها على النمط السابق في المقدمة . لغة وصرفٌ كثيرونحوٌ قليل

وقد يتخلل حزون هذه الأبحاث الصرفية أقوال لأبي العلاء يجد فيها القارئ سهولة بحث . ومنعة نفس . مثال ذلك قوله (في ص ٢٢٦ سطر ٧) : « وقد يقع في الكتب ألفاظ مستغلقة فمنها ما يكون تعذّر فهمه من قِبَل عبارة واضع الكتاب لأنه يكون متسوّراً [1] على ما بَعُد من الألفاظ وعلى ذلك جاءت عبارة سيبويه في بعض المواضع . ومنها ما يستبهم لأن صاحب الكتاب يكون قاصداً لإبهامه ويقال إن النحويين المتقدمين فعلوا مثل ذلك ليفتقروا اليهم في إيضاح المشكلات .

(١) أي مشتملاً على معرفة ما بعد وغمض من ألفاظ اللغة ويحتمل أن يكون معنى (متسوراً) مشرفاً ومطلعاً

ومن الفاظ الكتب ما يستعجم لتصحيفٍ يقع فيه : فإن الحرف ربما زاغ عن هيأته فأتعب الناظر وشغل قلب المفكر وربما كان الكلام قد سقط منه شيء فيكون الإخلال به أعظم ومعناه أبعد من الإبانة » اه .

وهنا موضع التساؤل او التعجب من ابي العلاء في وضعه طائفة من مصنفاته في شكل قصة وحوار خيالي بين اشخاص أو بين الطير والحيوان أحياناً . فمن تصفح اسماء الكتب التي صنفها علماء عاشوا في زمن ابي العلاء وقبله وبعده لم يجد فيها ما يجده في مصنفاته هو من هذا الوضع الخيالي أو التمثيلي او القصصي : فبين مصنفاته [أدب العصفورين] [خُطَب الخيل] [رسالة الضبُعين] [رسالة على لسان ملك الموت] [سجع الحمائم] [الصاهل والشاحج] [كتاب القائف] قالوا : انه على مثال كليلة ودمنة . وهذه رسالة [الملائكة] كما وصفناها للقارئ ورسالة [الغفران] وهي اوسع في الخيال وامتع من رسالة الملائكة . وله كتاب باسم [تظلم السوَر] وهو يشعر بأن سور القرآن تتشاكى وتتظلم من بعض الشيء . هذه المصنفات مما وضعه ابو العلاء تدل بأن له ميلاً خاصاً أو ذوقاً خاصاً في فن القصة لم نعهده لغيره من علمائنا الذين عاشوا في زمنه ومثل بيئته . فممن ورث هذا الميل وكيف تسرب الى نفسه ؟ نعم ان شروط فن القصة في آثاره هذه لم تتوفر بتمامها لكنّ نواتها قد وجدت في طبع ابي العلاء وغريزته قطعاً . يخطر لي ان هذا الميل تسرب اليه من الفرس فان لأبي العلاء — كما يظهر من ترجمته — زواراً وخلطاء وتلاميذ منهم . اشهرهم الخطيب التبريزي ويظهر ان المعرة كانت الى عهد قريب منزلاً للحجاج والرُّواد الايرانيين يقصدونها لموقعها من طريقهم ولأثر في جامعها من آثار سيدنا الحسين ومن أشهر من زار المعرة في زمن أبي العلاء من الفرس ناصر خسرو الرحالة الفارسي وقد وصفها ووصف ابا العلاء في رحلته التي سماها (سفرنامه) فلا جرم ان يكون — ابو العلاء وهو الذكيّ الألمعي والثقف اللقف — عرف من هؤلاء المعاشرين شيئاً ولو قليلاً من أدب الفرس وتخيلات أدبائهم وقصصهم في مصنفاتهم وما ننس لا ننس كليلة ودمنة وشاهنامة الفردوسي . ومن كان في ذكاء ابي العلاء

لا يعوزه لاجل التأثر والاقتداء والتحدي اكثر من هذا القليل حتى يفيض ذهنه بالكثير مما كان على نمطه ومضروباً على غراره . ويمكن ان تعد مقامات البديع الهمذاني من جملة الآثار التي تأثر بمضمونها ابو العلاء : فهي — وان كانت عربية في مولدها — فارسية في محتدها : إذ ان البديع فارسي العرق كان يقيم بهرات ومات فيها وكان معاصراً لأبي العلاء جمعهما ربيع الشباب وعاش المعري بعده اكثر من نصف قرن .

وأراني قد تطفلت في التعرض لهذا الموضوع اعني بيان السبب في جعل ابي العلاء يكتب بعض مصنفاته مفرغًا في قالب القصة المتخيّلة بينا غيره من أقرانه لم يرو عنهم شيء من هـذا القبيل . ولعل غيرنا كتب في هذا الموضوع ووفّاه حقه . ولو اطلعنا عليه . لاجتزأنا به . ولم نكتب ما كتبنا .

(أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري) قلنا ان هذا المصنف أصدره المعهد الافرنسي بدمشق بمناسبة المهرجان أيضاً وقد عهد المعهد الى الاستاذ ابراهيم الكيلاني بالوقوف على تصحيحه والتعليق عليه وكان الأستاذ عثر على مخطوطته في دار الكتب الظاهرية وهي من النوادر التي لا وجود لها ولا أمثالها إلا في تلك الدار . وقد طبع الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق في ١٦٠ صفحة بالقطع المتوسط . ونشر في أوله مقدمتان هما غاية في الامتاع والفائدة والتعريف بالكتاب ومؤلفه : إحداهما بقلم الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي والأخرى بقلم مصححه الأستاذ الكيلاني وألحق بالكتاب فهارس مختلفة تزيد في فائدته وتقريبها من يد المتناول . كما أخذت بالتصوير الفوتوغرافي صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة لتدل عليها وعلى نوع خطها وقطع صفحاتها . وقد قيل في آخرها ما نصه (تم الكتاب في آخر أول شهر من سنة ١٠٥٣ هـ) وفي الكتاب خرم لا ينقص من قيمته أما مؤلفه فهو يوسف البديعي الدمشقي وكانت وفاته سنة ١٠٧٣ هـ وليس له ترجمة الا في خلاصة الأثر للمحبي وهي مقتضبة جداً لا تفي بحاجة المتتبع الحريص وقال عنه المحبي : انه خرج من دمشق في صباه وحل بحلب وكانت له فيها شهرة واسعة وولي قضاء الموصل . وله مصنفات اشهرها (الصبح المنبي في حيثية المتنبي) . ولم يأت البديعي بجديد من اخبار ابي العلاء

غير ما قاله المترجمون له والمصنفون فيه عدا نماذج من كتاب (الأيك والغصون) المفقود والمجهول الموضوع حتى عرّفتنا به هذه النموذجات التي ذكرها البديعي وقد استغرقت عدة صفحات فعلم منها ان الكتاب كتاب حِكَم ووعظ مسردت فقراته سرداً متماثلاً كقوله: (المخمصة للفحل وجاء . لا يستثيرن غضبك هجاء . افرح بالحسنة اذا صنعتها . واندم على صلاتك متى أضعتها . في كل نفس أعجوبة . والحقائق عن البشر محجوبة . إذا لاقيت جارك فحيّه . وان نزح به الزمن عن حيّه الخ الخ وفي الكتاب أيضاً نماذج من مصنف لأبي العلاء مفقود اسمه [ديوان الألغاز] ولم يشر اليه احد الا البديعي ومهما يكن للمؤلف البديعي من هنات يؤاخذ بها فان له حسنات ومزايا يحمد عليها وقد استوفى بيان ذلك كله في المقدمة المصحح الفاضل الذي تُرى آثار جهوده في كل جانب من جوانب ذلك الكتاب ولا سيما في التعليقات الممتعة التي علّقها عليه فله الشكر على مابذل من العناية في إبراز هذا الأثر النفيس وشكر آخر لا يقل عن الشكر الأول للسيد هنري لاوست مدير المعهد الافرنسي وعضو مجمعنا العلمي العامل على طبع الكتاب ونشره وبذل العناية في أمره . بقيت لي كلمة لا بدّ منها وكنت قلت مثلها في مؤلف دمشقي آخر معاصر للمؤلف البديعي وهو الشيخ محمد الدرا شارح سقط الزند وقد سمى شرحه [ضوء الفند] وكلمة [الفند] بمعنى الشمع دخيلة في اللغة مملوزة في نسبها وعجبت من مثله كيف يسمي شرحه وهو كتاب أدب جمع فصاحة العرب بلفظ غير عريق في العروبة ومن العجيب ان أحداً من علماء دمشق وأدبائها لم ينتقد الدرا في هذا التسمية ولو فعلوا لما قام البديعي في العصر نفسه يسمي كتابيه [أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري] [والصبح المنبي في حيثية المتنبي] فما هذه (الحيثية) التي هام بها البديعي واستحلاها حتى كررها في المصنفين . ويظهر ان كلمة حيثية ليست خاصة بلهجتنا الشامية بل هي شائعة ومألوفة منذ ذلك العهد : نقول اليوم فلان صاحب حيثية ونريد بالحيثية المكانة والاعتبار في نفوس الناس وهي نسبة الى [حيث] وحيث ظرف

مكان تقول [اجلس حيث جلس زيد] اي في مكان جلس فيه وقد الحقوا بحيث ياء النسب وتاء المصدرية وهذا كما يقال في مكان مكانة . وربما كان هذا الاستعمال خاصاً بنا معشر الشاميين لكننا نسمع المصريين يقولون [حيثيات الحكم] ويريدون الأسباب التي جعلت الحاكم يحكم في القضية ويكررون في وثائق حكمهم كلمة [وحيث كذا وحيث كذا] ولا نعلم ان كان المصريون في لهجتهم يستعملون كلمة الحيثية بمعنى المكانة . وفي الجملة فان في تسمية البديعي لكتابيه باسمين فيهما كلمة [الحيثية] موضعاً للمؤاخذة .

(تعريف القدماء بأبي العلاء) وهذا الكتاب أصدرته وزارة المعارف المصرية بمناسبة مهرجان ابي العلاء ونشرت فيه آثاره نشراً علمياً منظماً وهي عازمة على إخراج سلسلة كتب تتعلق بالتعريف بأبي العلاء وهذا السفر الذي بين أيدينا في ٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير والحقت به فهارس في زهاء مئة صفحة وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة بعد ان جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية بإشراف الدكتور طه حسين بك فيعلم مما ذكرنا ان هذا الكتاب قد احتُفل به أيما احتفال وان الحكومة المصرية قد اولت مهرجاننا جميلها بإصداره كما خدمت أدب ابي العلاء خاصةً والأدب العربي عامةً خدمة باقية بقاء الدهر ولا يحيط علماً وإعجاباً بكتاب [التعريف] الا من احاط به مطالعةً او تصفحاً لمضامينه على الأقل فهو [دائرة معارف] خاصة بكل ما يتعلق بأبي العلاء واذا كانت الوزارة المصرية عازمة على نشر سفر أو اسفار وراء هذا السفر الأول حق لنا ان نقول مثلما قال ذلك الفاضل الذي اطلع على الجزء الأول من الأجزاء المئة من كتاب [الأيك والغصون] للمعري — نقول : لا نعلم ما ذا يعوز الوزارة المشار اليها ان تجمعه من أخبار ابي العلاء بعد هذا السفر . وقد نشر في أوله مقدمة ماتعة في أسلوبها . ممتعة في مضامينها بقلم الدكتور طه حسين بك جاء في خاتمتها ما نصه [أما بعد فإنا لا نرى هذا السفر على خطره الا مقدمة يسيرة لعمل خطير سيتبع بعضه بعضاً ومصر سعيدة مغتبطة لأنها ستتقدم بهذا السفر الى الذين سيحيون ذكرى ابي العلاء في سورية وهي أشد

سعادة واغتباطاً لأنها ستمضي في هذا الجهد حتى تنشر كل ما يمكن نشره من آثار الشاعر الفيلسوف العظيم ونحن سعداء مغتبطون لأننا اتحنا لمصر بما بذلنا من جهد ان تؤدي للأدب العربي وللثقافة الاسلامية بعض ما عليها من دين]

أما ما تضمنه هذا السفر من الآثار المتعلقة بأبي العلاء فهي :

[١] ما كتب له من التراجم في المصنفات المختلفة مرتباً ترتيباً زمنياً

[٢] شذرات تعرّضت لذكره وشيء من خبره منقولة من سائر المصنفات في المواضيع المختلفة

[٣] «التبرّي من معرّة المعرّي» وهي ارجوزة للسيوطي سرد فيها اسماء الكلب السبعين وقد بنى نظمها على ما جاء من قول ابي العلاء [الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً]

[٤] ابو العلاء في الأدب المغربي

[٥] ابو العلاء في الأدب الفارسي

[٦] النحاة وابو العلاء

[٧] كتاب الانصاف والتحري لابن العديم . وقد نُشر برمته مصححاً ومعلقاً عليه

[٨] معرّة النعمان وما كتبه الجغرافيون وأصحاب الرحلات عنها .

و اذ قد تعمد جامعو الكتاب ان ينشروا النصوص بحذافيرها من دون حذف شيء منها فأخبار ابي العلاء فيها تجيء مكررة بالطبع ولو حذف منها ما تكرر فيها لما بقي في الكف من هذا السفر الا نحو نصفه . ومع هذا ففي الاعادة إفادة ولا نظن الذكي من قراء السفر الا ويخرج منه بعد قراءته مستظهراً له . متفقهاً فيه . وكفى بذلك رسوخاً في الأدب وملكته . وأثمن شيء في هذا السفر نصوص لم يسبق نشرها قبل الآن بل هي منسية لم تقع عليها عين : نص للقفطي . وثان في مرآة الزمان . وثالث في مسالك الأبصار . ورابع في عقد الجمان . وانا لنكرر الشكر لوزارة المعارف المصرية على اتحاف العالم العربي وثقافته الأدبية بهذا السفر والأسفار المنتظرة الأخرى .

المغربي

مبادئ في السياسة المصرية

تأليف الأستاذ محمد علي علوبة باشا طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
(سنة ١٣٦١ — ١٩٤٢) ص ٣١٨

مؤلف هذا الكتاب من أكبر رجال القضاء والإدارة في مصر مشهور بعنايته بالعالم الاسلامي وهو من أول من نادى بجمع كلمة العرب وكتابه هذا من أنفع ما صدر في العهد الأخير في تعليم المصريين ما يلزمهم ودلالتهم على ما ينهض بهم ويكفي أنه زبدة علم رجل عانى أكثر المسائل التي خاض عبابها بنفسه فهو كتاب عملي مثل كتاب (على هامش السياسة) للدكتور حافظ عفيفي باشا ٠

جمل كتاب علوبة باشا كل ما يجعل من مصر دولة عظيمة ومن المصريين أمة ناهضة مرفهة لا يجور غنيها على فقيرها ولا قويها على ضعيفها ولا ينعم في أرضها فريق صغير ويشقى فيها الملايين ٠ والكتاب لا يدرك فائدته الا من يطالعه مطالعة امعان مرة بعد مرة ونحن نكتفي هنا بالإشارة الى بعض فصوله التي كتبها المؤلف برشاقة يندر أن يكتب مثلها ٠ فقد تكلم في أسباب ضعف ثروة مصر ووسائل انهاضها وفي مجالها الحيوي الشرعي والهجرة والجنسية المصرية وفي الصناعة والتجارة وفي أزمة المتعطلين وتطور الصناعة والشركات ٠ وبحث في ديون الأفراد وتحديد الملكية العقارية وفي السياحة واللغة القومية وشركات الاحتكار ٠ وقال في فوائد القروض (ص ٧٣) « ان خوفي على مستقبل الاسلام والمسلمين واعتقادي أن دين الله يسر كله وانني أدري بأحوال زماننا ، كل هذا يدفعني الى الجهر بأن واجب المسلمين أمام الضرورات الحاضرة القاسية وهذا التزاحم الشديد أن يدفعوا غائلة المرابين وان دينهم يأمرهم الآن بالتعامل افراداً وجماعات بالفوائد القانونية درءاً للمفاسد وسداً للذرائع قبل أن نندم حيث لا ينفع الندم » ٠

ومما أفاض فيه بذوق وخبرة الكلام على النظام النيابي والأحزاب السياسية والنظام الاداري والتعليم على اختلاف درجاته وتوحيد الثقافة ٠ ألمّ في هذا الباب بعامة الفروع ولا عجب فهو ابن بجدتها (تولى وزارة المعارف ووزارة الأوقاف زمناً)

وجحة فيما يقول . ولم نوافقه على رأيه عند الكلام عن الموسوعة (الانسيكلوبيذيا) أو دائرة المعارف او المعلمة فقال: اذا كانت الحاجة ملحة في وضع المعاجم العربية على النمط الحديث «ص ٢١٤» (لا أرى الحاجة ماسة الى ما يقول به البعض من التفكير في موسوعة عربية تجمع بين دفتيها جميع المعلومات الانسانية مدنية وعلمية وفقهية ورياضية وكيمائية ... ذلك لأن الموسوعة بهذا الوضع تتطلب نفقات طائلة ووقتاً طويلاً والعلوم متجددة متقدمة) على ان مصر يجب عليها من الآن القيام بمثل هذا المشروع المفيد للأمة العربية جمعاء فاذا كان النقص يبدو فيه بما يتوالى من تقدم العلم السريع فان الطبعات الثانية تجيء أمتع بالطبيعة . أما النفقات اللازمة فلا تعد شيئاً بالقياس الى ثروة مصر واسرافها في إنفاق المال ثم ان جميع البلاد العربية تساهم في إنشاء هذه الموسوعة ونشرها بحسب طاقتها والأمر متوقف على الشروع والشروع ملزم وكتاب كهذا أفيد لمصر من كثير من المطبوعات التافهة والاخصائيون الذين سيضعون أساس هذا العمل الخطير غير قلائل في مصر وغير مصر .

وتكلم في حالة مصر الاجتماعية من مثل مستوى المعيشة والحفاء والتسول والتشرد والصحة وانتشار الأمية واضطراب التشريع والزواج والطلاق والأزياء والأوسمة والقاب الشرف والبدع ومظاهر الأفراح والأتراح والأغاني والموسيقى وفوضى الاحسان . وعرض للدفاع الوطني والخدمة العسكرية والرياضة البدنية واستقلال الحبشة وواحة جغبوب وفلسطين . ثم انتقل الى الوقف وتاريخه وشروط الواقفين وتنظيم الوقف الأهلي الجديد والوقف الخيري الجديد وتنظيم الأوقاف القديمة وهذا من أمتع الفصول وختم هذا الكتاب النفيس «في مصر والبلاد العربية» . وتشاءم من ضم الأقطار العربية الى مصر وجمجم في هذا الباب وقال ان درجة نمو البلاد العربية الثقافي مختلفة وانها معترفة لمصر بالزعامة السياسية والثقافية والروحية وغير ذلك (ص ٣١٥) الا ان المؤلف يريد ان تكون الروابط بين مصر وشقيقاتها

كذلك الروابط التي تجمع مثلاً بين انكلترا والأُمم التي تتكلم اللغـة الانكليزية وان تستقل كل أُمة (والأولى كل شعب) من الأُمم العربية باستقلالها السياسي والجغرافي استقلالاً تاماً كاملاً .

هذا أقل ما يقال في وصف هذا السفر الممتع وللمؤلف منة على مصر بتأليفه هذا ضمنه عصارة علمه الواسع وتجاربه الوفيرة جزاه الله عن بلاده وكل بلد عربي أفضل جزاء .

محمد كرد علي

مطالعات عباس محمود العقاد

تظهر قدرة الأُستاذ العقاد في « مطالعاته » اذا هجم على شاعر من الشعراء يرضى عن خلقه وعن فلسفته في الحياة وعن فنه ، فيتغلغل الى خفايا هذا الخلق وهذه الحياة وهذا الفن ويكشف الغطاء عن أسرارها ثم يصور هذه الأسرار في أوضح الصور وأقواها ، فلست ترى في رضاه عن هذا الشاعر الا اصالة في الرأي وسلامة في الذوق وانصافاً في الحكم وبراعة في التعليل ووضوحاً في التعبير على نحو ما فعل في فصوله الدقيقة في المتنبيء فلقد صوّره في حقيقة صورته وأدرك جوهر خلقه وطبعه وأحسّ بأعمـاق شعوره فاستخرج من هذا كله صورة شاعرٍ بلحمه ودمه وروحه ، شاعر ناطق كأنك تسمع همس شعوره وترى مجال نفسه وتلمس أثر عظمته .

ولكن الويل ثم الويل اذا هجم على فكر من الأفكار في الأَدب لم يرض عنه أو لم ينكشف له وجه صوابه على حقيقته ، فانه لا يلبث ان يمسخ وجه هذا الفكر وان يعرض عليك بعد هذا المسخ صورة وجهٍ تنقبض عنه العين فلا تجرؤ على النظر اليه على نحو ما فعل في فصله : الأدب كما يفهمه الجيل .

نبه في هذا الفصل على اجتناب خطأ شائع لا ينفع الواقعين فيه اطلاع ولا ادمان نظر ، وليس يتأتى درس صالح لأي باب من أبواب الأدب قبل الخلاص

كذلك الروابط التي تجمع مثلاً بين انكلترا والأمم التي تتكلم اللغة الانكليزية وان تستقل كل أمة (والأولى كل شعب) من الأمم العربية باستقلالها السياسي والجغرافي استقلالاً تاماً كاملاً .

هذا أقل ما يقال في وصف هذا السفر الممتع وللمؤلف منة على مصر بتأليفه هذا ضمنه عصارة علمه الواسع وتجاربه الوفيرة جزاه الله عن بلاده وكل بلد عربي أفضل جزاء .

محمد كرد علي

مطالعات عباس محمود العقاد

تظهر قدرة الأستاذ العقاد في « مطالعاته » اذا هجم على شاعر من الشعراء يرضى عن خلقه وعن فلسفته في الحياة وعن فنه ، فيتغلغل الى خفايا هذا الخلق وهذه الحياة وهذا الفن ويكشف الغطاء عن أسرارها ثم يصور هذه الأسرار في أوضح الصور وأقواها ، فلست ترى في رضاه عن هذا الشاعر الا اصالة في الرأي وسلامة في الذوق وانصافاً في الحكم وبراعة في التعليل ووضوحاً في التعبير على نحو ما فعل في فصوله الدقيقة في المتنبي فلقد صوّره في حقيقة صورته وأدرك جوهر خلقه وطبعه وأحسّ بأعماق شعوره فاستخرج من هذا كله صورة شاعر بلحمه ودمه وروحه ، شاعر ناطق كأنك تسمع همس شعوره وترى مجال نفسه وتلمس أثر عظمته .

ولكن الويل ثم الويل اذا هجم على فكر من الأفكار في الأدب لم يرض عنه أو لم ينكشف له وجه صوابه على حقيقته ، فانه لا يلبث ان يمسخ وجه هذا الفكر وان يعرض عليك بعد هذا المسخ صورة وجهٍ تنقبض عنه العين فلا تجرؤ على النظر اليه على نحو ما فعل في فصله : الأدب كما يفهمه الجيل .

نبه في هذا الفصل على اجتناب خطأ شائع لا ينفع الواقعين فيه اطلاع ولا ادمان نظر ، وليس يتأتى درس صالح لأي باب من أبواب الأدب قبل الخلاص

من آفته وانتزاع كل أثر عالق بالذهن من آثاره ، ما هو هذا الخطأ : النظر الى الأدب كأنه وسيلة « للتلهي والتسلية » .

ليست المصيبة في التنبية على خطأ شائع وانما المصيبة في تفسير حقيقة هذا الفكر الشائع على الوجه الذي أراده الأستاذ العقاد ، فقد رأى ان اعتبار الأدب ملهاةً وتسلية انما هو العلة في كل ما يعرض للآداب من آفات الاسفاف الى الأغراض الوضيعة والغلو والعبث وتشويه المعاني والكلف المفرط بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف .

فأرى ان أنقل في هذا المقام جملة من قول الذين يجدون في الأدب مسرّة لعلّ نقل هذا القول يغني عن الرد على الأستاذ العقاد .

يرى الأستاذ « لانسون » ان الأدب انما هو رياضة وذوق ومسرّة ، والأدب لا يعلمه المرء علماً ولا يدرسه دراسةً وانما يمارسه ويحرثه ويحبه ، ان الرياضيين الذين يلهيهم الأدب والذين يذهبون الى المسارح أو يقرأون الكتب على سبيل التسلي والمسرّة انما هم أقرب الى الصواب من هؤلاء الأدباء الذين لا يقرأون الكتب قراءة ولكنهم يجردونها تجريداً ويظنون انهم يصيبون الإصابة كلها اذا جعلوها أبواباً ، لقد خلق الأدب لينشئ مسرة لنا ، ولكنها مسرة عقلية تروّض قوانا العقلية فتخرج القوى من هذه الرياضة أقوى سلطاناً وأمرن طبيعة وأغنى مادة ، وعلى هذه الصورة يكون الأدب ثقاف الباطن ، هذه حقيقة فعله . وأضاف الى قوله هذا ما يلي : اني لا اكاد أفهم كيف يدرسون الأدب لشيء آخر غير الثقافة ولسبب آخر غير وجود المسرة في دراسته .

فالاستاذ « لانسون » وقد كان مدير دار المعلمين العليا في فرانسة ، يرى ان الأدب انما هو مسرّة ، ولما قال قوله هذا لم يقع في خلده انه يأتي يوم يعتبرن فيه ان مسرة الأدب معناها الاسفاف الى الأغراض الوضيعة وعلى الرغم من هذا فقد تحفظ فصوّر عمل الأدب فقال : بالأدب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقي هذه الجماعات وتغير أوضاعها ، الأدب هو الذي يتعهد النفوس

التي أثقلتها تكاليف الحياة وأغرقتها مشاغل المادة ، فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنىً أو غاية .

فاذا كان الأدب هذا فعله في الجماعات فأظن انه بعيد عن الإسفاف الى الأغراض الوضيعة التي أشار اليها الاستاذ العقاد .

ومن الذين يرون ان الأدب انما هو مسرة « اناتول فرانس » فقد قال : يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتنبه فكرنا ، ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن أن يلذك ويسرك ، ليس له غير هذا الشأن .

قال « أناتول فرانس » هذا القول والذين قرأوا فصوله ورواياته يعرفونه حق المعرفة بعده عن تشويه المعاني وعن فرط الكلف بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف فان قاعدته في الفن مشهوره : البساطة ولا شيء غير البساطة .

فالذين وجدوا مسرّة في الأدب لم تخطر ببالهم الأمور التي تصورها الاستاذ العقاد ولما قالوا قولهم لم يذهب فكرهم الا الى أمر واحد ، فقد أرادوا ان يكون الأدب بعيداً عن مصاعب العلم وتعقيدات الفلسفة أرادوه بعيداً عن هذا كله حتى يستطيع بفضل بساطة صيغه ان ينشر هذا العلم وهذه الفلسفة في الجماعات فتتذوق الجماعات لذة العلم والفلسفة دون شيء من المشقة والجهد ، أو من التعقيد والإبهام ، هذه حقيقة فكرة المسرّة في الأدب .

شفيق جبري

مراجعات في الأدب والفنون

عباس محمود العقاد

عنوان الكتاب يدل على موضوعاته ، لقد خاض الاستاذ العقاد في كتابه هذا في مباحث من الفن والأدب شتى ، واني أعتقد ان هذه المباحث كتبها من زمن غير قريب ، وإن كان المؤلف لم يذكر في آخر المقدمة تأريخ التأليف ، ولو كتبها اليوم لتلطف في بعض مواطنها ، لو كتبها اليوم لما كنت اعتقد انه

التي أثقلتها تكاليف الحياة وأغرقتها مشاغل المادة ، فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنىً أو غاية ٠

فاذا كان الأدب هذا فعله في الجماعات فأظن انه بعيد عن الإسفاف الى الأغراض الوضيعة التي أشار اليها الاستاذ العقاد ٠

ومن الذين يرون ان الأدب انما هو مسرة « اناتول فرانس » فقد قال : يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتنبه فكرنا ، ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن أن يلذك ويسرك ، ليس له غير هذا الشأن ٠

قال « أناتول فرانس » هذا القول والذين قرأوا فصوله ورواياته يعرفونه حق المعرفة بعده عن تشويه المعاني وعن فرط الكلف بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف فان قاعدته في الفن مشهوره : البساطة ولا شيء غير البساطة ٠

فالذين وجدوا مسرّة في الأدب لم تخطر ببالهم الأمور التي تصورها الاستاذ العقاد ولما قالوا قولهم لم يذهب فكرهم الا الى أمر واحد ، فقد أرادوا ان يكون الأدب بعيداً عن مصاعب العلم وتعقيدات الفلسفة أرادوه بعيداً عن هذا كله حتى يستطيع بفضل بساطة صيغه ان ينشر هذا العلم وهذه الفلسفة في الجماعات فتتذوق الجماعات لذة العلم والفلسفة دون شيء من المشقة والجهد ، أو من التعقيد والإبهام ، هذه حقيقة فكرة المسرّة في الأدب ٠

شفيق جبري

مراجعات في الأدب والفنون

عباس محمود العقاد

عنوان الكتاب يدل على موضوعاته ، لقد خاض الاستاذ العقاد في كتابه هذا في مباحث من الفن والأدب شتى ، واني أعتقد ان هذه المباحث كتبها من زمن غير قريب ، وإن كان المؤلف لم يذكر في آخر المقدمة تأريخ التأليف ، ولو كتبها اليوم لتلطف في بعض مواطنها ، لو كتبها اليوم لما كنت اعتقد انه

يقول في جماعة من شعراء عصره نسبت اليهم العظمة والخلود ان العالم الذي يعيشون فيه انما هو عالم الحمير : عالم العلف والمذود والقيد واللجام والأتان ! ..

لو كتب الأستاذ العقاد مراجعاته اليوم لما سئم من حياة الشاعر ابن هرمة ولما قال في هذا المسكين ان مسافة عمره من المولد الى الممات طويلة ، ومعنى هذا انه ليته بعد أن ولدته أمه خسفت به الأرض ولم يعش !

لا يرى الأستاذ لكلام ابن هرمة براعة وصناعة ، فهو حر في ذوقه ، ولكن تشبيه شعراء عصره بالحمير ، أو التبرم بحياة بعض الشعراء المتقدمين ، كل هذا لم يعد أمره أمر ذوق حر أو غير حر ، اني أجد في هذا الطراز من النقد شيئاً من اليأس يغمر قلب الأستاذ العقاد ، وشيئاً من السويداء يملأ نفسه ، فعالم الشعراء وان كان الاستاذ العقاد لا يرى انهم يستحقون العظمة والخلود أرفع من عالم الحمير وابن هرمة وان كان الاستاذ لا يرى لكلامه براعة وصناعة له حق في الحياة على كل حال .

ولقد لازم هذا اليأس وهذه السويداء قلب الاستاذ العقاد في غير هذه المواطن ، ففي رده على بعض آراء « أناتول فرانس » يرى ان هذه الآراء انما هي من أسخف السخف ، والى القارئ أسخف السخف الذي أشار اليه الاستاذ العقاد .

من رأي « أناتول فرانس » ان الفن الحسن لا يكون الا في السهولة ، ولقد بنى على هذه الأصول في كتاباته كلها ، ولكن الاستاذ العقاد وسع رأي « أناتول » في الفن ، ومدّه الى الحياة كلها ، وعلى هذه الصورة أخرج « أناتول » عن الأفق الفني الذي حصر فيه رأيه ، وصوّر فلسفته الفنية في صورة هزلية وقال :

« إن من اسخف السخف أن يقال أن مسرات الشعر والكتابة والفنون عامة لا تحتاج إلى التأمل والانتباه وانها مطالبة بأن تعرض نفسها على الناظرين ليلتفتوا اليها حين يشاؤون بلا جهد ولا استعداد » .

اني اتمنع من كتب « أناتول فرانس » من عشرين سنة ، ما ينبغي لملاذ الفن في نظره أن تكون متعبة للذهن ، ومعنى هذا ان الكاتب يجب عليه ان يعرض في معرض آراءه من القول يسهل فهمه ، وأي اعتراض على هذا الرأي ، فان

« أناتول فرانس » سواء أكان يخوض في أمور الحياة البسيطة أم كان يخوض في أمور الفلسفة او الاجتماع أو الاقتصاد او اشباه هذه المذاهب انه لا يعرض علينا أفكاره الا في معرض سهل ، لقد قرأ كثيراً ولخص ما قرأه وبسط ما لخصه في نمط من القول السهل ، وكما تكون السهولة في تصوير أمور الحياة البسيطة فكذلك تكون السهولة في تصوير الأمور الرفيعة مثل الكلام على الأخلاق او على الطبائع او على الاجتماع وغير ذلك ، فالكاتب البارع الذي درس هذه الأمور وفهمها حق الفهم لا يجد مشقة في صبها في قالب سهل ، حتى لا يتعب ذهن القارئ أو يجهد فكره ، أفلا تكون البلاغة الا في التعقيد والإبهام والغموض ، أفيكون أبلغ الكتاب أكثرهم استلزاماً لإعمال الفكرة في فهم كتاباتهم ، على ان الواقع قد دلنا على ان الذين خلدوا في أدبنا انما هم الكتاب أو الشعراء الذين سهل فنهم ، وكانت موضوعاتهم على الرغم من هذه السهولة أرفع الموضوعات في الاخلاق والطبائع والاجتماع ، منهم ابن المقفع ومنهم الجاحظ نفسه على شدة رسوخه في اللغة ، فالاستاذ العقاد اما انه أساء فهم كلام « أناتول فرانس » وهذا ما لا أعتقده ، واما انه اوّله على وجهٍ يناسب مذهبه في الفن .

لقد أتى الأستاذ العقاد في خلال رده على « أناتول فرانس » على ذكر المتنبئ والبحتري فقال : ان المتنبئ مثلاً صعب على من يستسهل البحتري ، اني أحمد الله على ذكره المتنبئ في مثل هذا المقام ، فالمتنبئ أكثر الشعراء تعقيداً وابهاماً في بعض شعره ، وأبياته المشتملة على ظلمة التعقيد غير قليلة ، ولو لم يكن في شعره الا هذا التعقيد الذي يتعب الذهن ويجهده لكان في عصرنا هذا نسياً منسياً ، وانما خلد المتنبئ لسهولته ، وأريد بالسهولة في هذا المقام سهولة أبياته التي سارت في الحكمة والأمثال ، فلو لم ينطق المتنبئ بلسان كل واحدٍ منا لما خلد ، ولو كان نطق بلسان كل واحدٍ منا وكانت أبياته في الحكمة والأمثال تضطرنا الى جهد الذهن في فهمها لما كان له هذا النصيب من الخلود ، انه تغلغل الى صميم الحياة واستخرج منها حكمته وأمثاله ، أفكانت هذه الحكمة وهذه الأمثال من المعاني العامة التي يترفع عنها الخاصة ، كلا ، ثمّ كلا ، انها من أرفع المعاني ، وانها على الرغم من

رفعة شأنها مصورة في أسهل الصور ، وهذا ما جعلها خالدة ، وهذا ما جعل صاحبها في الخالدين ، فالفن لا يكون حسناً إلا اذا كان سهلاً .

من يومين دفع الي كتاب الأستاذ العقاد : « تذكار جيتي » لأقول كلمة فيه في هذه المجلة ، واذكر اني وجدت فيه غير ما يجده بعض الناس ، اني وجدت فيه صفاء في الأسلوب ، فهل حطت سهولة فنه من قدره أو من قدر موضوعه ، ان هذه السهولة قد رفعت من قدر الكتاب ورفعت من موضوعه ، والغالب على ظني ان هذا الكتاب كتب بعد ان سلم الأستاذ العقاد من ظلمة اليأس والسويداء .

ش . ج

مجمع الأحياء

عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد رسالته : مجمع الأحياء ، ليوضح نضال الأهواء والمبادئ وليبلغ كنه الحكمة التي تبدأ منها وتعود اليها أعمال الناس ومساعيهم في هذه الحياة ، فالخير والشر في رأي الأستاذ لا ينفصلان وأشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون انه الحق ، وقد توسع في مقدمته في شرح أمثال هذه المعاني ، غير ان الأستاذ خرج بعد المقدمة الفلسفية الى فلسفة ممزوجة بالشعر حتى تخف أفكاره على الأذهان ويسهل دخولها على النفوس ، فتصور اجتماعاً للأحياء في غاب في قلب افريقية ، خطب في هذا الاجتماع : الحياة واليمامة والثعلب والقرد والأسد والمرأة والانسان والذئب والطبيعة ، وبين كل حي من هذه الأحياء وجهة نظره في الحياة ، فالواجب الأول والأخير على كل حي في نظر الأسد ان يكون قوياً والأخلاق في نظر القرد انما هي قوة فوق القوة ، ومصالحنا الخاصة في نظر الثعلب أظهر لحواسنا واقرب الى اهوائنا من المصالح العامة الى آخر ما نطق به كل حي من الأحياء في هذا الاجتماع .

لقد كان الأستاذ بارعاً كل البارع في عبارته الأخيرة في الرسالة فبعد ان فرغت الطبيعة من خطابها في مجتمع الأحياء ما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة حتى وثب الأسد على الثور وقبض النمر على الأيل وعدا الثعلب وراء الأرنب ووجأ الذئب عنق الشاة والتهم الهر الفأر وجذب الانسان سلاحه يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، والقدر يضحك والحياة تصرخ ، وكلهم ذاهبون على رؤوسهم يصيحون : اسمعوا صوت الطبيعة ، اسمعوا صوت الطبيعة ! .

أجل ! هذه الحياة في صورتها الكاملة فما استطاعت فلسفة او دين او عالم اخلاق ان يخرج بالبشر من أفقهم الحيواني الذي ألفوه من عصور الكهوف والغيران الى أفق اكمل ، ففي الساعة التي تتباين فيها مصالح الأفراد او مصالح الأمم تضيع كل فلسفة و كل دين و كل خلق ، ويظهر الأفراد وتظهر الأمم في حقائق مظاهرها ، في مظاهر عصور الكهوف والغيران ، فيقدمون على أمور اقل ما يقال فيها انها ليست من البشرية في شيء والحروب التي تعاقب البشر عليها اكبر دليل على هذا الأمر الواقع فمذ خلق البشر الى ان يظهر بشر آخرون في تركيب غير تركيبنا وفي غرائز غير غرائزنا يجذب الانسان سلاحه ويضرب ذات اليمين وذات الشمال ، هكذا الحياة وهكذا الطبيعة ، والذين يريدون الحياة خالصةً من كل شر ومن كل ألم ومن كل هم يعيشون بعيدين عن الحياة وعن غرائزها فلا نستطيع ان نفهم الحياة حق الفهم الا اذا تصورناها جامعة بين الخير والشر مؤلفة بين الألم واللذة مناسقةً بين الحزن والفرح ، اما الفلسفات واما الأديان واما اقوال علماء الأخلاق فما استطاعت حتى هذه الدقيقة ان تقضي على الشر والألم والحزن واظن ان القضاء على هذه الأمور يطول بنا انتظاره .

ش . ج

العرب : تاريخ مقتضب للأميركيين (بالانكليزية)

The Arabs : a short history for Americans

مطبعة جامعة پرنستون ١٩٤٣ ، ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط

الدكتور فيليب حتي (أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية سابقاً وأستاذ هذا الفن في جامعة پرنستون في أمريكا حالياً ومؤلف كتاب (العرب) ذلك السفر الخالد الذي يتفرد في العالم ببحث تاريخ العرب منذ وجدوا حتى وقتنا الحاضر بحثاً علمياً دقيقاً ويتميز بالتعمق والصحة والتجرد والتسلسل والشمول وصوت العرب الدوي في أمريكا في الدفاع عن العرب وحقوق العرب ومميزات العرب ومدنية العرب وحق العرب فى فلسطين) علمٌ من أعلام التاريخ في الدنيا وفطحل من فطاحل العلم في امريكا وابن بار للعروبة وصديق مخلص للإسلام .

رأى الدكتور حاجة الامريكيين تشتد ، ولا سيما بعد اشتراكهم في الحرب الحاضرة وخوضهم معارك افريقيا الشمالية ، الى معرفة تاريخ العرب وحاضرهم وأمانيهم فعمد بالاشتراك مع السيد (بايرون دكستر) Mr . Byron Dexter الى اختصار كتابه (العرب) ووضعه في قالب جذاب وأسلوب سهل يمكن للمواطن الأميركي قراءته والاطلاع على تاريخ المسلمين بنواحيه المختلفة من سياسية الى حربية الى اجتماعية الى علمية الى فنية . الى غيرها من النواحي فتحدث عن العرب قبل الاسلام كما تحدث عن محمد ، رسول الله ، وعن القرآن والدين الاسلامي وعن انتشار الاسلام وعن الخلفاء وعن فتح الأندلس وعن الحياة الاجتماعية وعن امجاد بغداد وعن العلوم والآداب والفنون وعن قرطبة جوهرة العالم وعن أثر مدنية العرب في مدنية الغرب وعن الحروب الصليبية وعن آمال العرب في حاضرهم .

وتظهر في الكتاب بمجموعه قوة ايمان الدكتور حتي القومي وحبه للاسلام ودقة أبحاثه العلمية وقوة حجته وصراحته واخلاصه للمثل الانسانية العليا ويختم الدكتور حتي كتابه بقوله : « العربي الذي ساهم في الماضي بقسط وافر في اغناء العالم علمياً . يستطيع اذن مرة أخرى ان يحتل مكانه في موكب الأمم الديموقراطية المتطلعة الى المستقبل وليس هذا فحسب ولكنه يستطيع ، إذا أعطي الفرصة المناسبة ، ان يساهم من جديد والى حدود أبعد في رقي الانسانية » .

فاخر عاقل

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

كتاب يقع في ٤٤ص بقطع كبير مع كلمة الناشر السيد عزة العطار ومقدمة الأستاذ محمد زاهد الكوثري . وفي أول صفحة منه انه تأليف : محمد بن مالك ابن ابي الفضائل الحمادي اليماني من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة .

ألف هذا الكتاب لفضح اسرار الباطنية واخبار القرامطة . يتكلم عن أصل مذهبهم وأخبار دعاتهم وانتشارهم في العالم الاسلامي وخاصة اتباع الصليحي القائم باليمن — المترجم في تاريخ ابن خلكان ٤٥٩/١ — ويقول انه كان يسمع عنهم أخباراً لا يصدقها واخيراً رأى ان يدخل مذهبهم ويتحقق جليـة أمرهم . وفي (ص ٤٣) ما يفيد انه كان يجتمع بالصليحي فيقول : لقد سمعته مراراً واسفاراً ويذكر المؤلف عن الصليحي واتباعه ابطالهم الطهارة والصلاة والحج والزكاة واباحتهم الاشتراك في النساء . ومما يلفت النظر ان الداخل لمذهبهم يترقى خمس درجات يدفع عن كل درجة اثني عشر ديناراً (ولا يخفى ان هذا ليس في وسع كل انسان) وآخر هذه الدرجات معرفة الاشتراك في المرأة .

ويحرص المؤلف كل الحرص على أن يُصدق فيما ينقله عنهم فيقول (ص ١٦) هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالهم والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم و كفرهم وجهلهم .

ومن طريف ما تضمنه هذا الكتاب كتاب ارسله ابوطاهر الجنابي جواباً على كتاب للمقتدر بالله العباسي (ص ٣٤ و ٣٥) ومنه نعلم مبلغ نقمة القرامطة على المجتمع العباسي واخلاقه وتقاليده وان ثورة القرامطة كانت نتيجة تخمة المجتمع العباسي بالترف والاستقراطية والاقطاعية فهي ثورة من طبقة العمال والفلاحين ترمي الى هدم جميع الأوضاع الاجتماعية في ذلك العصر حتى الدين . وهي تشبه من جهات عديدة ثورة الشيوعيين في روسيا على قيصرهم . وليس لفظ قرمط اسم شخص كما ادعاه المؤرخون وانما هو وصف معناه الأحمر [1] وكانت القرامطة تدعى

(١) في القاموس القرموط كعصفور : الأحمر من ثمر الغضا كالرمان

المحمرة [1] وشعارهم الحمرة . ولا تزال حتى اليوم منطقة الأهواز في الخليج الفارسي تدعى المحمرة لنزول جيوشهم فيها فالقرامطة معناها المقاتلون الحمر كما يدعى الجيش الشيوعي اليوم بالجيش الأحمر . وكذلك لفظة الدروز معناها طبقة العمال ففي القاموس : وأولاد درزة : السفلة والخياطون والحاكة . وفي هذا برهان على ان ليس للفرق الباطنية عقائد دينية كما يتتبع ذلك الباحثون وجميع الجهود المبذولة من المستشرقين والشرقيين لم تأت بنتيجة واضحة عن عقائدهم الدينية . لأن اصل مذهبهم هو مقاومة فكرة الارستقراطية وحصر الثروة بأيدي الارستقراطيين وهدم الأديان التي يتخذها الارستقراطيون سلاحاً ومبرراً لمبدأ تكوين طبقة الأشراف كالقرشيين وطبقة السفلة كالخياطين والحاكة الذين لا يحق لهم التزوج من طبقة الأشراف ، ولذلك فليس من المعقول ان تأتي الباطنية بعقائد دينية جديدة واذا ظهر انما ما يصح ان يسمى عقيدة فانما هي شكوك وتأويلات اضطروا لها لأجل هدم العقائد القديمة لا لتكون عقيدة جديدة . ولو تتبعنا الفرق الباطنية لوجدناها خالية الذهن من العقائد الدينية اللهم الا انتسابها الى الاسلام والا عقائد سطحية قليلة لا ترتكز على أساس صحيح . وهذا نص بعض كتاب زعيم القرامطة الى الخليفة العباسي :

فأما ما ذكرت من قتل الحجاج واخراب الأمصار واحراق المساجد .... خبرني أيها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي آية من كتاب الله او اي خبر عن رسول الله اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

واما ما ذكرت من احراق مساجد الأبرار ، فأي مساجد احق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله ورسوله بأسانيد عن مشايخ فجرة بما اجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة . واما تخويفك لي بالله وامرك بمراقبته فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك — اترى اني اجهل بالله منك — وصرفك

---

(١) في البداية والنهاية لابن كثير ٦٢/١١ : ويقال لهم المحمرة نسبة الى صبغ الحمرة شعاراً امضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم .

اموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقها ؟ يدعى على المنابر للصبيان ، ويخطب للخصيان . آلله اذن لكم ام على الله تفترون ، انك لتقلد بعض خدمك شيئاً من امرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين اقرب للتقوى ؟ او ما علمت انه من انقاد اليه نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

هذا خلاصة ما جاء في هذا كتاب ابي ظاهر الجنابي . وقد ورد في ص ٣٥ س ٩ (من تسميتك بالمغيث بالله) والصواب بالمقتدر بالله لأنه هو الذي كان في عصر ابي طاهر ويدل على ذلك ما جاء بعده : اي جيش صدمك فاقتدرت عليه . واننا لنشكر للأستاذ الكوثري جهده وحبذا لو لجأ التجار الناشرون للكتب الى امثاله من العلماء لينظروا فيها ويعلقوا عليها فتكون مطبوعاتهم موضع ثقة العلماء والباحثين .

محمد احمد دهمان

تراجم مشايخ الشيخ أبي المواهب الحنبلي

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، تقع في ٦٠ صفحة بأبعاد ٢٢×١٦ سنتيمتراً ، خطها مقروء ، على اسم المترجم اشارة حمراء وعلى هامشها تعليقات قيمة ، عدد أسطرها يختلف بين ٢٥ و ٣٤ سطراً .

ترجمة ابي المواهب: هو ابو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي ابن ابراهيم بن عمر بن محمد مفتي الحنابلة وشيخ القراء والمحدثين بدمشق ، ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ هـ ونشأ بها في كنف والده فقرأ القرآن الكريم وحفظه وجوده وقرأ الشاطبية وشروحها والطيبة والدرة وأخذ العلم عن طائفة كبيرة من شيوخ دمشق ومصر والحجاز وغيرها . وجلس للتدريس والاقراء فانتفع به خلق وتوفي سنة ١١٢٦ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح بدمشق .

اموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقها ؟ يدعى على المنابر للصبيان ، ويخطب للخصيان . آلله اذن لكم ام على الله تفترون ، انك لتقلد بعض خدمك شيئاً من امرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين اقرب للتقوى ؟ او ما علمت انه من انقاد اليه نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

هذا خلاصة ما جاء في هذا كتاب ابي ظاهر الجناني . وقد ورد في ص ٣٥ س ٩ (من تسميتك بالمغيث بالله) والصواب بالمقتدر بالله لأنه هو الذي كان في عصر ابي طاهر ويدل على ذلك ما جاء بعده : اي جيش صدمك فاقتدرت عليه . واننا لنشكر للأستاذ الكوثري جهده وحبذا لو لجأ التجار الناشرون للكتب الى امثاله من العلماء لينظروا فيها ويعلقوا عليها فتكون مطبوعاتهم موضع ثقة العلماء والباحثين .

محمد احمد دهمان

تراجم مشايخ الشيخ أبي المواهب الحنبلي

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، تقع في ٦٠ صفحة بأبعاد ٢٢×١٦ سنتيمتراً ، خطها مقروء ، على اسم المترجم اشارة حمراء وعلى هامشها تعليقات قيمة ، عدد أسطرها يختلف بين ٢٥ و ٣٤ سطراً .

ترجمة ابي المواهب : هو ابو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي ابن ابراهيم بن عمر بن محمد مفتي الحنابلة وشيخ القراء والمحدثين بدمشق ، ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ هـ ونشأ بها في كنف والده فقرأ القرآن الكريم وحفظه وجوده وقرأ الشاطبية وشروحها والطيبة والدرة وأخذ العلم عن طائفة كبيرة من شيوخ دمشق ومصر والحجاز وغيرها . وجلس للتدريس والاقراء فانتفع به خلق وتوفي سنة ١١٢٦ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح بدمشق .

شيوخ أبي المواهب : قال أبو المواهب : وقد التمس بعض المحبين الموفقين من هذا المذنب الحقير الفقير الكسير المسرف على نفسه الراجي رحمة ربه ولطفه في الدنيا والآخرة وما بينهما وحين يوضع في رمسه ان أذكر له تراجم مشايخي وما قرأته عليهم وما أخذته عنهم دراية ورواية بأي نوع من أنواع الاجازة فأجبته لذلك سائلاً من الله التوفيق والرحمة . ثم شرع ابو المواهب في ترجمة المشايخ الآتية :

والده عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن ابراهيم بن عمر ابن محمد الحنبلي الأزهري الدمشقي المحدث المقرئ الأثري الشهير بابن البدر ثم بابن فقيه فصة [1] ، محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد الخباز المعروف بالبطنيني الدمشقي الفقيه الشافعي المحدث ، منصور بن علي السطوحي المحلي نزيل مصر ثم القدس ثم دمشق الشافعي ، محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكوافي الحمصي الدمشقي الشافعي العالم الصالح ، ابراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي البارع في علم الكلام والمعاني والبيان والمنطق وغيرها ، محمد بن أحمد بن علي الخلوتي الفقيه الحنبلي والعالم المحقق ، محمد بن بدر الدين البعلي الأصل الدمشقي الحنبلي الذي انتهت اليه رئاسة العلم بالصالحية ، محمد بن احمد بن محمد العمري المعروف بابن عبد الهادي الدمشقي العالم بالعقائد والتصوف ، محمد بن محمد بن احمد العيثاوي الدمشقي الشافعي العالم في جميع العلوم الشرعية والعربية والأصول والعقائد والمنطق ، محمد بن كمال الدين ابن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة نقيب الأشراف في الشام ورئيس وقته علماً وجاهاً ، رمضان بن موسى بن احمد المعروف بابن عطيف الدمشقي الفقيه الحنفي الأديب الراوية للشعر وأيام العرب وأخبار الملوك ، رجب بن حسين بن علوان الحموي الأصل الدمشقي الميداني الشافعي الفرضي والبارع في العلوم الرياضية كالحساب والفلك والهيئة والموسيقى ، محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالاسطواني الدمشقي الفقيه الحنفي الواعظ الاخباري ، محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنبلي الخطيب العالم الورع ، محمد البابلي القاهري الأزهري أحد الأعلام في الحديث والفقه وأحفظ اهل عصره للمتون والشروح وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقطها ورجالها ،

(١) بفاء مكسورة ومهملة قرية ببعلبك وان أحد أجداده كان يتوجه ويخطب فيها فاشتهر بها .

اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم النابلسي الأصل دمشقي المولد العلامة الامام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب وصاحب المصنفات الكثيرة ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي شيخ الاسلام ومؤلف الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ولطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ونظم الأجرومية وشرح القطر لابن هشام وغيرها ، محمد بن سليمان الفاسي المغربي نزيل مكة المحدث القارئ ، عبد السلام بن ابراهيم بن ابراهيم المصري المالكي الحافظ شيخ المالكية في وقته بالقاهرة ، علي بن ابراهيم بن علي القبردي الدمشقي الصالحي الشافعي المحيط بالعلوم الشرعية العالم بالحكمة والمنطق والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والارتماطيقي والخط والموسيقى والمساحة والتفسير واسماء الرجال والتاريخ وأيام العرب واشعارهم وغيرها ، سلطان بن احمد بن سلامة بن اسماعيل الأزهري المصري الشافعي الحافظ القارئ ، علي الشبراملسي الشافعي القاهري العالم المحقق ، محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد علان ابن عبد الملك بن علي المفسر المحدث المقرئ صاحب المؤلفات الكثيرة منها خيار السبيل الى معالم التنزيل ونظم عقيدة النسفي ونظم مختصر المنار وغيرها ، محمد نجم الدين الفرضي المحدث الفقيه ، محمود الكردي نزيل دمشق العالم المحقق ، رمضان بن عبد الحق العكاري بن عبد الحق الدمشقي الفقيه الحنفي الأصولي المحدث ، ايوب بن احمد الخلوتي الحنفي ، عيسى بن محمد بن احمد بن عامر جار الله المغربي نزيل المدينة المنورة ثم مكة امام الحرمين الشريفين ، يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الجزائري المالكي المحدث المفسر الأصولي المتكلم ، غرس الدين بن محمد بن احمد بن محمد بن غرس الدين ابن محمد بن احمد بن غرس الدين الأنصاري الفقيه الشافعي المحدث الأديب مؤلف كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس من الأحاديث الموضوعة ، أحمد ابن محمد بن يونس القشاشي العالم الكبير ، خير الدين بن احمد بن نور الدين الأيوبي الفارقي الرملي المفسر المحدث الفقيه اللغوي ومحمد بن قاسم بن اسماعيل البقري المصري الأزهري .

عمر رضا كحاله

آراء وانباء

بيان رئيس المجمع في جلسة الافتتاح

المعقودة في ٣٠ تشرين الأول سنة ٩٤٤ ، بعد العطلة الصيفية

سادتي الأفاضل :

في هذه الجلسة ينتهي المجمع من عطلته الصيفية ويستقبل سنته المجمعية (تشرين الأول ٩٤٤ - حزيران ٩٤٥) ويبدأ أعماله متكلاً على الله وعلى سعي أعضائه الكرام ومؤازرتهم ، راجياً ان يبلغ من اغراضه في هذه السنة اكثر مما ادرك في السنة الماضية ، فينجز ما كان شرع به من الأعمال ، ويتناول ماينوي معالجته .

ولئن كانت العطلة الصيفية مدة راحة واستجمام للمجمع ، فلقد امتازت هذه العطلة بكثرة العمل المتواصل مدة اشهر الصيف كلها . فهيئت بها اسباب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، وعقد كما تعلمون في الخامس والعشرين من شهر ايلول ، وشهده من اعلام العلم والأدب نيف واربعون عالماً وأديباً ، واستمر اسبوعاً اشتركت بالاحتفاء به جميع البلاد السورية ، وأقيمت فيه ست حفلات خطابية افتتح أولاها فخامة رئيس الجمهورية بنفسه ، وكان من قبل رحب بمشروع عقده واعاره أوفر نصيب من عنايته وعطفه ، كما احتفت الحكومة به وساعدت على تحقيقه ، حتى كان أعظم حادث أدبي في تاريخ الآداب العربية .

هذه الجمهرة العظيمة من العلماء والأدباء احتفت بها دمشق والمحافظات السورية ، فأقيم في دمشق ثلاث حفلات خطابية شهدها مئات من علية القوم ومثقفيهم رجالاً ونساء ، وحفلة في المعرة على قبر أبي العلاء أظهر فيها معالي السيد حكمت الحراكي من ضروب الكرم والحفاوة ما يعجز شكره اللسان والقلم ، وحفلة في حلب ، وحفلة في اللاذقية ، فضلاً عن مظاهر الحفاوة والمبالغة في كرم الضيافة في المحافظات التي لم يعقد بها حفلات خطابية كحمص وحماة ، وبذلك زار الضيوف قسماً عظيماً من البلاد السورية وكانوا حيثما مروا ووقفوا وحلوا موضع الاكرام والتجلة . وظهرت

البلاد بحلة بديعة من البشر والبشاشة ، وأقامت الدليل على تقدير أهلها للعلم والادب ورجالها . ولقد تلي في المهرجان من حر القول نثراً وشعراً ما تقر به عين الأدب دع عنك ما بعث به من لم يتيسر لهم الحضور .

وانه لمن دواعي الفخر والغبطة ان ينجز المجمع طبع الف نسخة من رسالة الملائكة لأبي العلاء ويتحف بها ضيوف المهرجان بعد ان حققها وخرجها وعلق عليها وشرح مواطن الغموض فيها رصيفكم العلامة الأستاذ سليم الجندي وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع من قبل انما هو مقدمة الرسالة ليس غير ، وكأن الدهر جاد بها هدية للمعري في مهرجانه ، بعد ان ضن بها قروناً عديدة .

هذا ما قام به المجمع في العطلة الصيفية . أما ما ينوي عمله في سنته هذه فأجمله لكم على سبيل الاقتراح ، حتى اذا وافقتم عليه مضى المجمع في تنفيذه .

١ — احداث أربع لجان من أعضاء المجمع العاملين ، تيسيراً للأعمال العلمية ، واستفادة من ثمرة الاختصاص وهذه اللجان هي : اللجنة اللغوية ، اللجنة الأدبية ، اللجنة التاريخية ، اللجنة العلمية ، وبذلك تتولى كل لجنة تهيئة ما يعود اليها من الموضوعات ثم تعرضها على هيئة المجمع العامة للمناقشة والفصل .

٢ — جرى المجمع في الماضي على جعل محاضراته العامة أسبوعية ، لقلة المحاضرات التي كانت تلقى خارج المجمع ، فكان يتساهل في بعض المحاضرات التي لا تتقيد بأغراضه . فأما وقد تعددت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية وأصبحت المحاضرات فيها مألوفة ، فنرى ان تكون محاضرات المجمع بعد الآن متقيدة بأغراضه المنصوص عليها في نظامه ، وان يتحرى في تجويدها وجعلها من البحوث العلمية الدقيقة ، ولجعل ذلك ممكناً نرى ان تكون محاضرات المجمع العامة في كل اسبوعين مرة مدة موسم المحاضرات .

٣ — خلا عدد من كراسي اعضاء المجمع المراسلين بوفاتهم رحمهم الله . فنرى ان تملأ هذه الكراسي في هذه السنة . ويبذل الجهد في انتقاء الأكفياء ممن توفرت بهم الشروط المذكورة في انتخاب الأعضاء .

٤ — تعلمون ان الخطب والبحوث والقصائد التي تليت في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري من خيرة ما جادت به قرائح اعلام الأدب المعاصرين ، وهي بجملتها أوسع مجموعة عن ابي العلاء في كثير من نواحيه ، فضلاً عما فيها من الجمال والسحر . وجمعها في كتاب واحد وتمثيلها للطبع تخليداً لهذا المهرجان الذي عقده المجمع ، وذكرى بر الخلف بالسلف ، وصورة عن الأدب المعاصر تفيض بالاحسان والامتاع للأجيال الآتية ، لذلك نرى ان يتولى المجمع جمع مواد هذا الكتاب وطبعه في هذه السنة ، وتقدر صفحاته بأربعمائة وقد تبلغ خمسمائة .

٥ — ذكرت لكم في بيان جلسة الختام في شهر حزيران الماضي شيئاً عن دار الكتب الظاهرية والآن اذكر لكم ان جزأ من فهرس مخطوطاتها قد تهيأ للطبع وهاكم نبذة يسيرة عنه ، يقدر فهرس دار الكتب بثمانية مجلدات وقد اعد الآن منها مجلد قسم التاريخ الذي يبلغ عدد كتبه ستمائة مخطوط وصفت على سبيل البسط والشمول في تعريف الكتاب ووصفه وخصائصه وتعريف مؤلفه وما الى ذلك من شؤون التفصيل وقد اعد الورق لطبع هذا الجزء ونرجو ان يكون الشروع قريباً . وتقدر صفحاته بأربعمائة صفحة من قطع مجلة المجمع .

هذا ما سنأخذ بطبعه في هذه السنة ان شاء الله عدا الكتب الثلاثة التي سبقت الاشارة اليها في بيان حزيران وهي تاريخ الحكماء وديوان ابن عنين والرسالة الجامعة . ونرجو ان تكون أعمالنا اكثر من أقوالنا بتوفيق الله تعالى .

قبر معاوية بن أبي سفيان

قرأت في هذه المجلة (م ١٩ ص ٤٣٤) مقالة في قبر معاوية بن أبي سفيان مؤسس أعظم دولة عربية وكنت أعتقد ان ضريحه في حارة النقاشات . والبحث في هذا الشأن كثير ينحصر في ثلاثة آراء : الرأي الأول ان الضريح في الحائط القبلي من جامع دمشق هو بحث ضعيف قليل الإسناد سواء بالنقل أو بالواقع لأن العرب ما اعتادت دفن موتاها في الحيطان حتى ولا الروم كانت تفعل ذلك وعند وفاة معاوية كان الجامع القبلي بيد النصارى من أهل دمشق والقسم الشرقي فقط بيد المسلمين ولذلك لا يعقل اتباع هذه الرواية . الرأي الثاني : يقول بالدفن قرب الجامع أو ما بين مساكن الأمويين التي كانت جنوباً وشرقاً جنوبياً وأشهر هذه المساكن الدار الخضراء أو ما بين حارة النقاشات وحمام القاري والشارع المستقيم أو مأذنة الشحم الآن . والمتواتر ان منازل أمراء المسلمين وحكامهم في ذلك الزمان كانت في تلك البقعة وبهذا القسم يوجد الآن ضريحان الواحد لمعاوية الصغير والثاني لمعاوية الكبير ، هذا حسب الروايات المتواترة على ألسن العامة . والبرهان على وجود ضريح معاوية الكبير في هذا القسم ضعيف ولم يعتمد عليه كثيراً . والرأي الثالث : القول ان ضريح معاوية هو في مقبرة الباب الصغير وهذا الوارد في أخبار كثيرة وهو ما اتجه نحو القول به الأمير جعفر الحسني وأنا ارغب في تصديقه من وجهة نظرية ولكنني عملي وذلك لأن عندنا الآن جميع الوسائل الآلية التي تمكننا من السير في هذا الموضوع الى آخره ولذلك اؤيد اقتراح الكاتب البحاثة وتشييد ضريح فخم يليق بمكانة هذا الملك العظيم ولكنني أزيد هذا وهو المقصود من مقالي الآن :

منذ نحو مائة عام كان مقام أهل البيت بسيطاً يشبه ما ذكر عن ضريح معاوية الى أن قام أحد آل المرتضى وأجرى حفريات على عمق اربعة امتار من سطح التربة الحاضر فظهر له ضريح السيدة سكينة رضي الله عنها وذلك التابوت الخشبي المنقوش نقشاً بديعاً فكان تحفة للناظرين وبركة للزائرين وهو أجمل ما وجد من العصر

الأول في تاريخ الاسلام . فبنى له مقاماً حديثاً وقبة واسعة يزوره المسلمون وغيرهم من سياح الافرنج .

هذا يقول هنا ضريح معاوية وذلك يخالفه ويبقى الموضوع تحت الدرس ريثما يأتي الناس من اميركا واوربا ويحفرون منقبين باحثين عن آثار لا تعد شيئاً بالنسبة لوجود ضريح معاوية وما قد يوجد معه أو يقربه من التحف أو النقوش واذا وجد التابوت وحده سواء كان حجرياً أو خشبياً فقيمته التاريخية لا تقدر بثمن . واذا فرضنا ان بقعة يلاحظ ان فيها بعض القبور فتحفر فوقها حفرة سعتها ٣×٣ أمتار وعمقها بالغاً ما بلغ سبعة أمتار أو مجموع تكعيبها ٦٣ متراً مكعباً من التراب العادي وقد تكلف الآن حفراً وردماً وتدعيماً نحو الف ليرة سورية فاذا صحت عزيمة اولي الأمر على بحثها فانني مستعد لتقديم هذه القيمة والبدء بالعمل .

ان مستوى تربة باب الصغير كان في زمن معاوية على مستوى أضرحة آل البيت أي على عمق اربعة أمتار عن المستوى الحالي تقريباً وكان شكل القبور شكلاً ما وجد مماثلاً له بالهندسة أو بالوضع وطبعاً يكون قبر معاوية افخم واعظم لأنه ملك ذلك الزمان والذي أخذ عن الروم أشياء كثيرة مما وجد حسناً ومفيداً لرفع مجد العرب واعلاء شأنهم بين الأمم .

أما القول بأن العباسيين نبشوا قبور آل أمية واحرقوا عظامهم فأظن ان ذلك مردود عقلاً ولكن قد يحتمل درس قبورهم وشواهدهم أو قبابهم . لذلك يحتمل وجود قبر معاوية الكبير أو الصغير في الموضع المحكي عنه في تربة الباب الصغير .

يوسف دبوس

بعض الكتب المخطوطة التي في حيازتنا

١ — القرآن الكريم بخط جيد جداً متميز

٢ — الصحيفة السجادية 〃 〃 〃 〃

٣ — كتاب لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب في التصوف

تأليف القاضي ابي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٩٤ مجهول التاريخ لذهاب أوله وآخره

٤ — معالم الدين في فقه آل يسين في الفقه الجعفري تأليف شمس الدين محمد ابن شجاع الأنصاري تاريخ كتابته ٨٣٢ لم يطبع ناقص من آخره

٥ — فرائدالقلائد مختصر شرح الشواهد تأليف محمود العيني قوبل بأصله سنة ٨٦٧

٦ — مختلف الشيعة في أحكام الشريعة في الفقه الجعفري تأليف الحسن بن يوسف الحلي المعروف بالعلامة كتب بعض اجزائه سنة ١٠٩٥

٧ — المغرب في اللغة للمطرزي كتب سنة ٩٦٨

٨ — مجموعة فيها (ا) عجائب احكام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ب) عنوان المعارف وذكر الخلائف تأليف الصاحب بن عباد كتب سنة (٤٢٠) (ج) رسالة الى احمد بن أبي دؤاد في فضل العلم كتبت سنة (٢٤٠) (د) الأدب الصغير لابن المقفع (ه) ذخائر الحكمة لابن دريد الأزدي (و) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف مسكويه

٩ — رجال رواة الإمامية للحسن بن داود الحلي

١٠ — ديوان السيد المرتضى تاريخ كتابته (١١٣٩) ومعه قطعة من ديوان ابي فراس الحمداني

١١ — اليتيمة للثعالبي

١٢ — اجزاء من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد الرابع والخامس والسادس تاريخ كتابة الرابع منها ٨٧٧

١٣ — أمل الآمل في علماء جبل عامل كتب عن نسخة مسودة المؤلف سنة ١١١٨

١٤ — ديوان المتنبي نسخة قديمة ذهب قليل من أولها وآخرها

١٥ — مجموعة فيها (ا) شرح الفصول النصيرية للعلامة الحلي تاريخ كتابته ١١٤٦ (ب) الرسالة الجوابية لابن راشد البحراني (ج) شرح واجب الاعتقاد للعلامة الحلي والشارح عبد الواحد بن الصفي النعماني والثلاثة في علم الكلام

١٦ — شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري بخط قديم وورق قديم جيدين

محسن الأمين الحسيني

بين العامية والفصحى

في مجلة المجمع (م ١٨ ص ٣٥) بحث طريف عن العامية وعلاقتها بالفصحى ومثل هذه الأبحاث لا تخلو من فائدة ولهو كما قال الكاتب ، ولكن العامية تختلف باختلاف الأقاليم والأماكن ولعل الأفضل في مثل هذه الأبحاث ان يشير الكاتب الى مثل هذا الخلاف إذا استطاع ، وإلا ففي بحث الأستاذ مآخذ ربما كان سببها اختلاف العامية باختلاف الأماكن وربما كان غير ذلك .

ورد في صفحة ٤٠ تقول العامة فاجر أي بذيء اللسان وهو في الفصيح العاهر الفاسق . ولكن الفاجر في القاموس المتمول — ولعل اللغة العربية لم تسبق إلى ابتداع هذا المعنى الرائع — وهو الساحر والفاسق والكاذب والكذاب والعاصي والمخالف الخ فكأن العامة لم تبعد في استعمالها عن الفصيح كثيراً .

وفي صفحه ٤١ ان العوام يقولون هدت الأم لولدها من حدت والحداء معروف ، ولعلها من هدهدت الأم لولدها بمعنى حركته لينام .

ويرى ان هص مقلوبة عن صه ، والعوام عندنا يقولون هس بالسين وهي زجر للغنم

وجاء « يقولون عنفص بمعنى طغى وتجبر فهو منحرف عن عصف ، ولكن أكثر العوام في سوريا ولبنان يستعملون بمعناها الفصيح ، والتعنفص في اللغة الصلف والخفة والخيلاء والزهو ، وأكثر ما تستعمل في العامة للفرس يرفس فلا يمكن من ظهره وليس في عمل الفرس طغيان وتجبر بل زهو وصلف .

وجاء « ومن القلب عند العوام قولهم في لائط بمعنى ملتصق لاطي » ولكن لطي في القاموس لزق بالأرض فهي فصيحة صحيحة .

وجاء « ويقول العوام جفل عوض أجفل » وفي القاموس جفل الظبي جفولاً أسرع وذهب في الأرض كأجفل فكلاهما فصيح صحيح .

وورد في صفحة ١٥٥ « فلان روم والصواب رومي » أما العامة فتستعمل رومي بمعنى اليوناني فقط ولعل الصواب ارثوذكسي وكاثوليكي لأن الكاثوليك أيضاً روم . ولعل الأصل ان يقال رومي ارثوكسي ورومي كاثوليكي ، ولكن حذفت

كلمة رومي وخصصت كلمة ارثوذكسي بالروم الارثوذكس كما خصصت كلمة الكاثوليكي بالروم الكاثوليك والا فهنالك السريان الارثوذكس والأرمن الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس يقابلهم أسمياؤهم الكاثوليك في الجانب الآخر .

وجاء في صفحة ١٥٦ «ومن مخالفة الصفة عند العوام مقلي عوض مقلو أما مقلي فمعناها في الفصيح مبغض» ولكن قلاه بقليه في الفصيح أنضجه في المقلى فهي فصيحة كقلا يقلو .

وجاء في صفحة ١٥٥ «ان العوام يؤنثون النار وهي مذكرة» ولعل هناك خطأ مطبعيًا لأن النار مؤنثة في الفصيح .

وفي صفحة ١٧١ «كرعت فلان أي طاردته وتبعت أثره كأنهم يريدون انه تتبع كراعه وهو عظم ساقه» ولكن العوام في أواسط لبنان يقولون كعرت فلان لا كرعته وهي من قعرته ، أي أقصيته أما كرع فيستعملونها بمعنى شرب الكاس دفعة واحدة . وفي القاموس كرع في الماء تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفيه ، وأظن ان أكثر العوام في سوريا ولبنان يقولون كعرته لا كرعته ، وأظن أيضًا ان الذين يقولون كرعته قد قلبوها عن كعرته .

وجاء «ان عوام سوريا ولبنان وفلسطين ومصر يلفظون صوت القاف كالهمزة ما عدا أهل القرى في إقليم اللاذقية» والذي نعرفه نحن ان دروز لبنان يلفظونها قافًا مفخمة . وان مئات من القرى في لبنان وحوران والجبل العربي يلفظونها قافًا ، لا قرى إقليم اللاذقية فقط .

ومن الكلمات التي يختلف في لفظها العوام مما أورده الأستاذ مرقص عندم وعندن وعندهن ، ومبيوع ومبيع ومباع ، وعمال نكتب وعما نكتب ، وتملكز ، وتقلز وتمقلس ، ويمحل ويؤمحل ، وعميق وغميق ، وهس وهص ، وغرغر بالماء ، ورغرغت عيناه بالدموع ، ولقب ولبق ، ويحترق ويتحرق ، ولحس ولمس ، وخربط وخبط ، وتصفت وتنصت ، الخ مما يستعمله بعض العوام فصيحًا صحيحًا .

وينعي الأستاذ مرقص على الذين يكتبون الاسماء التركية بالتاء المبسوطة ،

ولعل الأفضل أن تكتب الأعلام التركية بالمبسوطة والعربية بالمربوطة فعصمت اينونو ، وعصمة البيروتي فما رأي المجمع .

وليست المسألة مسألة تاء بل تتعداها إلى أصول اللغة والأعلام العربية المرتجلة في لغتنا لا معنى لها في صلب اللغة تشتق منه ولكنها عربية لا تمنع من الصرف إذا خلت من العلل الأخرى ، أما الأعلام المنقولة عن الأعاجم فهي أعجمية يمنع صرفها ولو كان للفظها معنى في صلب اللغة ، وعلماء اللغة يمنعون يعقوب من الصرف لأنه منقول عن العبرية مع أن اليعقوب في اللغة الحجل وهم يمنعون كل يعقوب أعربياً كان المسمى أم عبرياً .

وكميل شوطان وأميل زولا ممنوعان من الصرف بالعجمة وليس فينا من يصرف كميل وأميل ولو سمى بهما أولاده مع ان للفظهما معنى في اللغة غير العلمية .

وإذا أردنا ان يكون شوقي وفوزي وفتحي اسماء عربية فالصحيح صرفها وهي ممنوعة ، وما رأي المجمع في عصمت أو عصمة ، ورفعة أو رفعت أبالعجمة يمنعها أم بتاء التأنيث ؟

حنا نمر

العربية والمستعربون

انني لست مستشرقاً ولا أستاذاً للغة العربية بل قد توصلت الى تعلمها اضطراراً عن طريق لم يكن لي بد منها . ذلك انني كنت مفتقراً الى معلومات لم استطع ان ابلغها من المستشرقين ولم يكن لي سبيل سوى دراسة اللغة العربية حتى أنال ما أريد بمجهود نفسي .

لا يكفي ان أقول انني لست مستشرقاً بل ينبغي ان أضيف انني حرب على المستشرقين إذ ان اكثريتهم تسيء بالدارج ظناً وتعتقد ان الناطقين بالضاد لا يعرفون لغتهم الخاصة وبناء على ذلك يصرون على اعتبار اللغة العربية لغة ميتة ولا طائل من مجادلتنا إياهم لأنهم في واد ونحن في واد .

وانني متيقن انه يجب على المستشرقين ان يدرسوا الآداب العربية الحديثة كالآداب القديمة اذا هم أرادوا ان يفهموا إخوانهم العرب فهماً حقيقاً وان تحسن العلاقات بين الشرق وبين الغرب ٠

يفتقر العالم الى تراجمة هم في هذه الحال المستشرقون واذا ابى هؤلاء التراجمة ان يقرأوا الكتب الحديثة التي تفسر وحدها الشرق الناهض فانهم بذلك يمتهنون رسالتهم ٠

يجب على المستعرب الآن يدرس القرآن الشريف وكتباً قديمةً أخرى فقط بل عليه ان يتعرف إلى آداب الوقت الحاضر التي تحمل العبء الحي في تطور اللغة وتبين طموح الشرقيين ومقاصدهم وآمالهم وأوجالهم وتوق قلوبهم الى العلى ٠

(الولايات المتحدة) سرطون

الفهرس العام لمواد المجلد التاسع عشر

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتّاب مقالات المجلد التاسع عشر

منسوقاً على حروف الهجاء

٧

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء